٥٦٤

564

HARLEQUIN

دار ف. النحاس

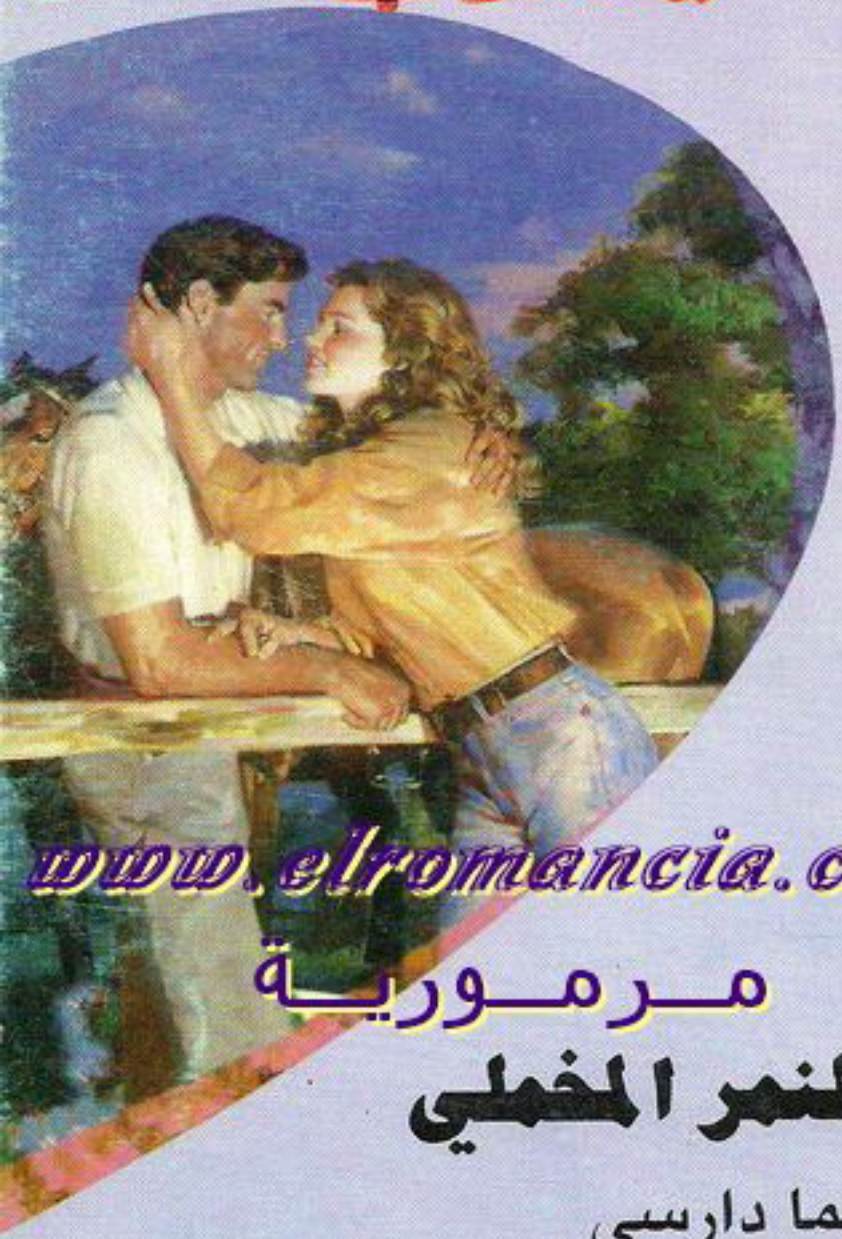

عبير قلوب

www.elromancia.com

مـرمـوريـة

النمر المخملي

ايما دارسي

النمر المخملي

ايما دارسي

www.elromansia.com

أزواج أم فراق؟

أعطت ليزا جيلمور سنة من عمرها لكين ماريوت وهذا وقت فوق الكفاية لكي يقررا إلى اين الوصول بعلاقتهما هذه.

وثلاث اسابيع دون كلمة من كين، كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، وكان كل نهار يمر يقوّي من تصميم ليزا على انهاء هذه العلاقة، وإذا بكين يعود ليعرض الزواج عليها، وكان الزواج هو بالضبط ما كانت ليزا تريده، ولكن ماذا كان كين يتوقع بالضبط من تبادل عهود الزوجية؟

سوريا: ٦٠ ل.س – الكويت: ٧٥٠ فلس – البحرين: ١دينار – قطر: ١٠ دراهم – السعودية: ١٠ ريالات – الامارات: ١٠ دراهم – الاردن: ١,٥ دينار – المغرب: ٨درهم مغربي. – سلطنة عمان ١ ريال. – تونس: ٢ دينار

قابلت نظراته دون ان تهتز: «لم اقل نعم، بعد يا كين.»

«لماذا لا تقولينها إذن؟»

أخذ قلب ليزا يخفق بتوتر، ولكنها ثبتت على موقفها، «ثمة الكثير بيننا لم يحسم، وانا افضل ان اقوم بذلك قبل الزواج وليس بعده.»

فتوترت ملامح كين: «كلا، لا تضعيني تحت التجربة. فأنا لن أبقى معلقاً، فإما انا اصلح لك، أو لا.»

فقالت: «سأفكر في ذلك.»

«ليس عليك ان تفكري في ذلك، فإما انك تريدين الزواج أم لا تريدين.»

«هذا غير معقول كلياً.»

ولكن كين لم يتزحزح: «قرري امرك، يا ليزا، وفي هذه اللحظة.»

إيما دارسي...

كانت على وشك ان تصبح ممثلة، إلى ان قرر خطيبها انه يفضل حضور المسرح معها، ثم اصبحت زوجة وأماً، ثم تعلمت فيما بعد الرسم بالزيت، ولكنها لم تنجح بذلك، كما قالت، ثم جربت الهندسة، واضعة تصميم منزل الأسرة في نيو ساوث ويلز، وبعد ذلك أخذت تكتب الروايات العاطفية، والتي وجدتها كما قالت أصعب وأكثر الأعمال التي قمت بها تحدياً.

٥٦٤

khouloub Abir 564

النمر المخملي

إيما دارسي

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

جاءت المكالمة الهاتفية في الساعة العاشرة والربع من صباح الجمعة، ومضت ثوانٍ قبل ان تستوعب ليزا هزة الفرح التي تملكتها لسماعها صوت كين ومضت عدة ثوانٍ أخرى قبل ان تتذكر انها كانت قد قررت ان تنهي علاقتها معه بشكل أبدي لا رجوع فيه.

لم يكن ذلك لأن كين ماريوت كان سيئاً تماماً، على العكس، فقد كانت له صفات كثيرة حسنة، كان وسيماً للغاية وذا جاذبية خطرة نسفت كل القيم التي عاشت ليزا بها قبل ان تعرفه، فمع كين بدا لها كل منطق وتعقل لا صلة له بالواقع، ولكن هذا لم يكن هو لب المشكلة، وإنما هي الطريقة التي كان يعاملها بها.

وأسوأ ما في ذلك هو لا مبالاته بما تفكر فيه أو طريقة تفكيرها وبشكل يوحي بالإزدراء تقريباً، وكذلك لطريقة تصرفها وكل ما يعني لها شيئاً، كان يفعل ما يريد حينما يريد، اما ما تريده هي فلم يكن له أي اعتبار، فإذا لم تتفق رغباتها مع رغباته فهناك سوء حظها.

لقد منحت كين ماريوت سنة من عمرها، وهذا اكثر مما يستوجب تقريرهما مصير حبهما هذا، والأسوأ من ذلك هو ان بقاءها معه قد حرمها من فرصة التعرف إلى شخص افضل وإنشاء علاقة أسعد تعترف بوجود ناحيتين منها.

ثلاثة أسابيع من الصمت كانت بمثابة القشة الأخيرة التي

قصمت ظهر البعير، كما يقال، ثلاثة اسابيع طويلة بطيئة مملة مرت دون ان يفكر كين فيها أو يرغب في قضاء عدة دقائق في حديث شخصي معها، وهذا عينّ بالضبط ما هو موقعها من نفسه وفي حياته، وكانت هي تدرك سبب كل هذا، فما دامت لا تمنحه ما يريد، فهي لا تستحق، بالنسبة إليه، ان ينفق وقته عليها.

كل يوم كان يمر دون كلمة من كين، كان يثبت من عزمها على إنهاء علاقتها به، حتى الآن عندما تذكر وجودها، إذا به يتصل بها في أوقات العمل والذي يمنع الحديث بينهما على المستوى الشخصي.

وهذا لا يعني ان كين كان من عادته ان ينغمس في أحاديث شخصية طويلة، وإذا كان سيحدث مثل هذا، فإن ليزا تعلم جيداً انه لن يكون في الهاتف.

ورغم هذا كله فمجرد سماعها صوته هز من قرارها هذا، فكل المنطق الذي في العالم لم يستطع ان يلغي حقيقة ان كين قد جعلها تشعر بنفسها وانسانة غير عادية كما لم يفعل ذلك رجل من قبل، وبينما كان ذهنها يتخبط بين الأسباب التي تجعلها تطلب منه ان يغرب عن وجهها ولو إلى الجحيم، إذا بكل عصب في جسدها يتوتر، منتظراً أن تراه مرة أخرى.

وكان هو يقول: «اعتقد ان كل شيء سينتهي هنا عصر هذا اليوم، يا ليزا.» وكان التعب يبدو في صوته، ثم تابع يقول: «ان بإمكاننا ان نمضي طوال العطلة الأسبوعية معاً، انني غير واثق بعد من موعد الطائرة التي سأستقلها من ملبورن، ولهذا اظن من الأفضل ان نجتمع في شقتي.»

وفكرت ليزا متهكمة ان هذا بطبيعة الحال، سيوفر الوقت

بالنسبة اليه، لما يريده منها، لما يريده هو، اما ما تريده هي فهذا غير موضوع في حسابه.

كان لدى كين الأولوية الحقيقية لشيء واحد في حياته، هو نجاح شركته الهندسية، ولا شيء غير ذلك يشكل حافزاً في حياته، كما ان لا شيء يردعه أو يقف في طريقه في توجهه إلى هذا الهدف وهكذا كانت ليزا ترى وبوضوح تام، اين موقعها هي من اهتماماته في الحياة.

وكانت أزمة نشبت في بناء كان يشيده في فيكتوريا قد دعته إلى الذهاب، ولا شك ان ضرورة أخرى من ضرورات العمل تدفعه الآن إلى العودة، وهذا منحه عطلة أسبوعية يمكنه بها ان يفكر في ليزا. ذلك ان وظيفة المرأة وأهميتها الوحيدة عنده، هي في توفير الراحة والإستجمام له من عناء العمل وضغطه، والآن وهو يعود إلى سيدني، يتفقد ليزا بهذا الهاتف ليضمن ذلك هذه الليلة.

لم يدخل هذا الشعور البهجة إلى نفسها، وإنما العكس، لقد اخمد الحرارة التي اندفعت في شرايينها لمجرد سماعها صوته، ذلك ان كين ماريوت لا يستحق كل هذه اللهفة منها، كما غضبت لهذه المشاعر التي أثارها في نفسها واحتقرتها، كيف يمكن ان يكون له مثل هذا التأثير على نفسها بينما تعلم تماماً انه لا يهتم بها؟

قالت له: «هل خطر في بالك مرة أن تطلب مني مثل هذا الأمر بكل لطف؟»

ساد الصمت في الناحية الأخرى من الخط. وتصورته ليزا يصرف بأسنانه انزعاجاً وفروغ صبر ولكنها لم تهتم.

وأخيراً قال بجفاء: «ولكنني طلبت منك ذلك بلطف.»

«كلا، انك لم تفعل.»

فتنهد بضجر. حسناً، فلنبدأ مرة أخرى.» كان صوته أكثر تعباً الآن وان خالطه شيء من الضيق.

«انني اطلب منك بل لطف ان تقابليني بعد رحلة الطائرة في شقتي.»

أجابت بإيجاز: «كلا، لن اقابلك هناك، يا كين.»

فسألها بحدة: «لماذا لا؟»

«لأنني مشغولة.»

كان الصمت الذي تلا هذا مرة أخرى في الطرف الآخر من الخط، كان اطول هذه المرة وتساءلت عما إذا كان صمته هذا نتيجة صدمة، أو لهفة.

وإذا به يسألها وقد ساور صوته شك عنيف: «مشغولة مع رجل آخر؟»

فتملكها الغضب، ان كين طبعاً، لن يحمل نفسه أي ذنب، وتساءلت عما إذا كان لشكوكه هذه اصل في سلوكه هو، إذ عندما يكون في رحلة عمل، هل هناك امرأة أخرى يمضي معها أوقات فراغه؟ وهل هذا هو السبب في انه لا يتصل بها هاتفياً على الاطلاق، ما عدا عندما يبلغها بموعد حضوره من السفر؟ ولم تكن ليزا واثقة على الاطلاق من انها الوحيدة في حياة كين.

قالت وكرامتها المجروحة تغذي شكوكها المدمرة هذه: «ربما.» وحدثت نفسها بأن هذه بداية النهاية، سمعته يشتم بصوت خافت، ثم ينفجر قائلاً: «أية لعبة تقومين بها، يا ليزا؟ حذار من الدلال، فليس لي صبر عليه.»

قالت بمرارة: «كلا، فأنا واثقة من عدم صبرك، يا كين، ولكن حان الوقت الذي لن ينفع فيه منك أي مجاملات أو لطف.»

فقال غاضباً: «ليس لدي وقت لمثل هذا الهراء اللعين، ومهما تكن اللعبة التي تفكرين فيها، أريدك ان تصرفيها من ذهنك، فإذا لم تكوني تريدين ان تكوني معي، فقط قولي ذلك، يا ليزا.»

هكذا إذن وانقبض قلبها، لقد دنت اللحظة الفاصلة، فمن ناحيته لم يكن هناك نقاش، ولا اعتذار ولا (امنحيني فرصة أخرى وستريننني شخصاً مختلفاً، يا ليزا) مثلاً فمثل هذه الكلمات لا يمكن ان تنطلق ابداً من بين شفتي كين، ذلك ان ليس لديه سوى هذه المعادلة (قولي هل تريدينني أم لا؟)

ما عدا انها كانت تريد من كين ماريوت أكثر كثيراً مما كان مستعداً ان يعطيه.

وفكرت بمرارة في ما قاله عن لعبة تقوم بها، انه هو الذي يضع القوانين، وهو المرجع في كل أمر، وهو الذي يطلق صفارة الإبتداء، ولم يكن هناك مراجعة لأي قرار يتخذه، كيف استطاعت أن تحب شخصاً مثله، وهو الذي لا يهتم بشعورها مقدار ذرة؟

«انها ليست لعبة، يا كين، انني اسميها النهاية، ان علاقتنا انتهت.»

لقد نطقت بهذه الكلمات، أخيراً ولم تكن تنوي ان تقولها الآن، وفي هذا المكان، لقد تدفقت من بين شفتيها تحت ضغط المشاعر، كانت نهاية إرتجالية بدت خطأً بالغاً للغاية ومع انها كانت قررت انهاء علاقتهما، فقد كانت تنوي أن ترى كين مرة أخرى لكي تخبره بذلك وجهاً لوجه.

قال لها بلهجة خلت الآن من الخشونة، وحل مكانها عدم الفهم: «ليزا؟ لا اظنك جادة في كلامك.»

ما الفائدة من إلغاء ما لا بد منه؟ وشعرت بالمرض، ان

عليها ان تقوم بذلك، وقالت ببلادة: «بل أنا جادة في كلامي.»

تلا ذلك شيء من التردد منه، ثم لم يلبث ان قال بحدة: «لا يمكنك ان تعني ذلك حقاً.»

قالت بحزم: «أنا آسفة، ولكنني اعنيه حقاً.»

كانت آسفة فعلاً آسفة ومن كل قلبها وهي تشعر بفراغ هائل يدخل حياتها، وتساءلت عما تراها فعلت، وأخذت تكرر وقد داخل الشك قرارها: «أنا آسفة.»

فقال بمرارة: «انت آسفة! هذا رائع، وتباً لها من روعة، لقد كنت احرق اعصابي يوماً بعد يوم بينما أنت... تباً لك، اذهبي إلى الجحيم...» شتمها بذلك وهو يقفل الهاتف في وجهها، ورأت في الصوت المكتوم الذي صدر عن وضع السماعة مكانها، ما يماثل آخر خفقة لقلب يموت، ان عقلها يقول انها قامت بالعمل الصواب، ولكن ما تقوله مشاعرها يخالف ذلك تماماً، وضعت سماعتها ثم اخذت تنظر إلى يديها، كانت اصابعها الطويلة الرشيقة ترتجف تبعاً لافكارها المضطربة.

كان تصرف كين حسب المتعارف عليه، فهو قد شتمها غاضباً لقرارها المفاجيء غير المتوقع هذا، ولكن الشعور بالخسارة والذي سرى في كيانها كان لا يحتمل.

كانت تحبه، وتريده ولكن حبها ورغبتها فيه قد صدمهما معاملته تلك لها، انها ليست ألعوبة بين يديه، يتناولها متى شاء، ويلقي بها جانباً حين يريد، ولكنها إنسانة والطريقة التي اخذ يعاملها بها كانت تنقص من احترامها لنفسها ان عليها ان تنهي كل هذا.

ولكن ليس بهذه الطريقة، ليس بمثل هذا الشعور الرهيب

بالاكتئاب، لم تستطع حتى ان تبكي، فقد عصي دمعها... ربما هي الصدمة، وشعرت بالخدر يغزو جسمها، وانعدام الحياة وكأنما لم يبق هناك ما تتطلع إليه.

نظرت حولها إلى مكتبها الفسيح البديع التأثيث، كانت وظيفتها بالغة الإعتبار، فهي سكرتيرة مدير الفرع الاوسترالي «الشركة الدولية المختلطة» وكان راتبها ممتازاً، كما كانت تقابل اناساً ذو نفوذ وعلى غاية من الأهمية، ولكن هذا كله لم يكن يهمها بشيء.

وازداد الشعور بالفراغ في نفسها اتساعاً وظلاماً، واخذت تناجي نفسها، (انها حالة يأس، ولكنني سأتغلب عليها في النهاية فأنا مازلت في الرابعة والعشرين من عمري، وكل ما عليّ عمله هو ان أمحو من حياتي هذه السنة التي أمضيتها مع كين ماريوت، وأبدأ حياتي مرة أخرى، ويوماً ما، سيأتي رجل ما، رجل مختلف جداً عن كين، رجل يقدرني كانسان وليس كأنني خلقت للإستجابة لرغباته.)

«هل كل شيء جاهز لاجتماع مجلس الإدارة عصر هذا اليوم ياليزا؟»

جعلها هذا السؤال المفاجيء تقفز من مكانها، ورفعت نظرها إلى رئيسها الذي كان يسد الباب الذي يصل بين مكتبيهما بجسمه الضخم، فقد كان جاك كونواي قوياً في كل شيء، فهو رجل كالثور لا يتردد في سحق أي مرؤوس عديم الكفاءة، وهو لم يصل إلى منصب المديرية هذا باستعمال التساهل إزاء أولئك الذين لا يشعرون بمسؤولياتهم.

اجابت بإيجاز: «نعم يا سيدي.» وكانت قد اعدت كل ما يلزم لهذا الاجتماع.

أومأ راضياً، وعندما اخذ يقيّم مظهرها، لمعت عيناه بنوع آخر من الرضا، كان شعرها الأسود الفاحم، كالعادة متموجاً بأناقة بعيداً عن صدغيها، محيطاً بوجهها البيضاوي وعنقها الطويل لتنسدل خصلاته على كتفيها، وكانت ترتدي ثوباً بنفسجياً ألقى بريقاً في عينيها الكثيفتي الأهداب، وكانت الأنوثة تتجلى في حاجبيها المنمقين وأنفها البديع واسنانها الصغيرة المنتظمة.

منحت رئيسها ابتسامة صغيرة ملتوية، في بداية التحاقها بالعمل معه، كانت تشعر بالإرتباك البالغ إزاء طريقته في النظر إليها كل يوم، وكانت قد تركت العمل مع مخدومها السابق بعد ان اخذ يحاول التقرب إليها، وعلى كل حال فقد كان جاك كونواي لاحظ شكوكها فأسرع في محوها بقوله، ساخراً وقد لمعت عيناه تهكماً: «يا فتاتي العزيزة إنني في الرابعة والخمسين من عمري وقد اجتزت سن العبث، وفي هذه الفترة من حياتي أفضل أن أحول طاقتي لوجهة أخرى، فأنت بالنسبة إليّ فتاة متميزة وأنا أحب ان يكون لديّ فتيات متميزات.»

وكانت قد صدقت اعلانه الفظ لها بعدم اهتمامها بها، وقد اثبتت السنتان اللتان مرتا بها موظفة تحت إمرته صحة كلامه ذاك، فقد كان جاك كونواي يراها بمثابة تحفة جميلة، وساور ليزا الاعتقاد بأن هذا السبب هو ما جعله يختارها من بين بقية المتقدمات لهذه الوظيفة.

كان متملكاً لها بشكل غريب، ولكن ليس بالمعنى العاطفي أو الأبوي، وإنما كان اقرب إلى بسط النفوذ، فقد كانت امتداداً له، وكان مركزها كما يسميه، يرمز إلى مكانته، كما انه يفيد

في إلهاء الرجال الآخرين وصرف اذهانهم أثناء اجتماعات العمل، فقد كان جاك كونواي لا يتورع عن استخدام أي شيء أو أي شخص في سبيل الحصول على ما يريد.

قال لها باستحسان: «هذا اللون يناسبك جداً، عليك ان ترتديه اكثر الأحيان، يا ليزا.»

فقالت: «اشكرك، يا سيدي.»

ارتسمت على شفته ابتسامة ذات معنى وهو يستدير عائداً إلى مكتبه.

كان جاك كونواي يستعمل كل وسيلة يجدها اثناء مناقشاته العملية، ولم يكن حضورها تلك الاجتماعات لتلهيه قط، وذلك بعكس الرجال الآخرين، وكان احياناً يطلب منها ان ترتدي ثوباً معيّناً في بعض الأيام الخاصة، والتي كانت تتفق دوماً مع المفاوضات الدقيقة التي تتضمن مفاوضات ذات أهمية خاصة، وعندما فطنت ليزا أخيراً إلى غرض جاك كونواي، لم تعرف ما إذا كان عليها ان تشعر بالتسلية أم بجرح في كرامتها، وأخيراً قررت ان ليس في هذا أية أهمية في الواقع.

وتذكرت بسخرية مرة ان كين ماريوت كان أحد الرجال القلائل الذين لم تمر عليهم هذه الخدعة، وتذكرت بوضوح اجتماعها الأول به، الشعور بعينين تلتهمانها، لقد رفعت نظرها عن عملها على مكتبها فرأته واقفاً عند العتبة جامداً دون حراك، ومع ذلك كانت تنبعث منه طاقة مغناطيسية، ثم وببطء متناه، افترت شفتاه عن ابتسامة بعثت الكهرباء في كل عصب في جسدها.

هي التي كان وجوده يلهيها ويصرف ذهنها عن عملها وذلك أثناء اجتماعاته فيما بعد مع جاك كونواي، ولم يكن ذهن كين

يتحول لحظة واحدة عن العمل الذي كان موضع النقاش ورغم انها كانت تجلس أثناء الاجتماع تسجل ملاحظاتها، لم يحدث مرة انه نظر ناحيتها أو أبدى أي انتباه لوجودها، فقد كان تركيزه على ما كان يريد إنجازه تاماً إلى ان يفوز بالموافقة على العقد الذي كان يسعى للحصول عليه، عند ذلك فقط، كان يدير اهتمامه إلى ليزا، وكانت عيناه قد أدركتا انها اصبحت رهن مشيئته، ولقد حدث ذلك بكل تلك السهولة والبساطة.

لقد كانت غزوة سهلة بالنسبة اليه، أما الغريب في الأمر فهو انه لم يحدث لها قط من قبل ان كان لها علاقة من قبل، وما كانت ستصدق ان هذا سيحدث لها يوماً ما لو ان شخصاً كان قال لها ذلك قبل عام، ولكن مع كين اصبح الأمر مختلفاً تماماً، فالحذر منه لم يخطر لها ببال وجانبيته الطاغية هدمت كل الحواجز.

فلا عجب ان يأخذ موافقتها أمراً مسلماً به، فهي لم ترفض له طلباً قط، كان عليه فقط ان ينظر اليها بتلك العينين المسيطرتين حتى تفقد كل ما تتحلى به من اتزان.

اما فرصتها الوحيدة للتخلص من سيطرته تلك فقد كانت في الإبتعاد عنه، وهكذا ربما كان من الأفضل ان تنهي الأمر في الهاتف بدلاً من ان تتعذب برؤيته، ولكن كان عدم رؤيته مرة أخرى بمثابة خنجر يمزق قلبها، لماذا لم يحبها بقدر ما أحبته؟ لماذا...؟

ورن الهاتف مرة أخرى فمدت يدها إلى السماعة بحكم العادة وهي تحاول جاهدة تمالك هدوئها ونبرات صوتها السارة: «هنا الشركة الدولية المختلطة. ليزا جيلمور تتكلم، هل يمكنني مساعدتك؟»

«انا كين.»

«آه...»

وجف حلقها في الحال، ما منعها من النطق بكلمات أخرى، وهاجمتها الشكوك، أترى كين يحاول العودة اليها؟ وهل هو من الرغبة فيها بحيث يحاول إلغاء نبذها الماضي له؟

«أرجوك لا تقفلي الهاتف.» كان هذا أمراً ولكنه على الأقل منحها شرف قوله لها أرجوك.

تراوحت افكارها بين الرجاء والتشكك المر، فابتلعت ريقها بصعوبة ثم قالت: «انك انت الذي فعلت ذلك لتوك يا كين.»

«آسف، لقد كنت... متهوراً.» وكان هذا تعبيراً ملطفاً لمزاج أحمق، وعلى كل حال فالإعتذار من كين كان من الندرة بحيث اخمد نار ليزا.

فقالت له: «وهل هذه المخابرة منك ناتجة عن التهور؟ لأنه اذا كان كذلك...»

«كلا، فأنا أريد التحدث اليك.»

«بأي شأن؟»

«لقد كنت انت أيضاً متهورة.»

«كلا، لم اكن كذلك.»

«ماذا تسمين نسف علاقة استمرت سنة كاملة، بواسطة الهاتف؟ هو تهور يا ليزا؟»

أبت عليها كرامتها ان تظهر أي ضعف أو رقة رغم انه كان يمنحها مجالاً لتغيير رأيها وقبول العودة إليه، كانت تريده من كل قلبها، ولكن ليس بذلك الشكل الذي سارت به علاقتهما.

«نسميها مودة متقطعة حيث انك تقوم بكل اتصالاتك في فترة الاستراحة، وذلك بطريقتك الأنانية التي لا تطاق، لا أريد

مثل هذه المعاملة، ياكين وانا لن أدعك تعاملني بهذا الشكل.»

فقال ساخراً: «باختصار، فأنا لم اكن لطيفاً معك بما يكفي.»

تصاعد غضب ليزا: «اذا شئت ان تفهم الأمر بهذا الشكل...»

فقال بسرعة: «كلا، ولا تقفلي الهاتف، دعينا نتقابل هذه العطلة الأسبوعية لكي نتحدث في هذا الأمر.»

كانت تعلم بالدقة أي نوع من الحديث سيجري بينهما، فقالت بمرارة: «انك لا تريد ان تستمع إليّ، يا كين.»

فقال يقنعها برقة: «امنحي هذه المسألة شيئاً من الصبر، يا ليزا، حاولي على الأقل المصالحة.»

«لماذا؟»

«لأننا منسجمان معاً.»

لم تستطع انكار ذلك. وابتدأ الشوق لرؤيته مرة أخرى، يمتلكها، أترى ستتعرف بعده إلى شخص رائع مثله؟

«اظننا أمضينا وقتاً كافياً معاً.»

«امنحي علاقتنا فرصة أخرى، عدة أيام فقط، يا ليزا، فقط للتأكد.»

فترددت، ما أهمية عدة ايام أخرى؟ واضاف هو قائلاً: «قابليني في الشقة فلدي مفاجأة لك.» قال ذلك بسرعة بعد ان لاحظ ترددها.

سألته بارتياب: «ما هي تلك المفاجأة؟»

ضحك برقة: «اذا انا اخبرتك فلن تعود مفاجأة.»

نبهتها ضحكته تلك، فقد رأت فيها ان كين يظن انه اعادها إلى قبضته مرة أخرى، وانها عادت رهن مشيئته فقالت: «كلا، لن آتي إلى شقتك يا كين.»

«لِمَ لا؟»

«لأنك ستحاول إغوائي.»

«ان هذه ليست فكرة سيئة.» قال ذلك بلهجة تفيض حناناً.»

فصرفت بأسنانها غيظاً: «كلا.» انها لا تريد ان تنخدع بالاعبيه.

وبرقة زائدة كانت ليزا تعلم انها زائفة، اذ كانت تعلم ان كين خالٍ من كل رقة، قال: «كيف استطيع تغيير رأيك؟»

لم تتمالك سوى الإعجاب بمقدرته على متابعة الإلحاح حتى الفوز بما يريد.

فأجابت بعناد، وقد ساءتها هذه الطريقة اللبقة التي يغير بها اتجاه الأمور لكي تناسب مصلحته، وان كان الآن يقوم بمسعى لمصلحتها، اجابت تقول: «لا شيء.»

فقال: «باستثناء..»

«هنالك دوماً استثناء فكوني حنونة، يا حلوتي، ورقيقة، يا حبيبتي ليزا، واخبريني ما هو الاستثناء، فأنا لا استطيع تصور بقية حياتي من دونك.»

ان ليزا لم تنخدع، فهو لا شك يعني قضاء العطلة الأسبوعية من دونها، ان كين ماريوت ليس بحاجة اليها... ليس اليها شخصياً. فهو ليس بحاجة إلى أي شخص، كين هو رجل ذو اكتفاء ذاتي، عصامي لا يستجيب لأحد، وربما كانت هذه الميزة فيه هي سر جاذبيته وإثارته وما يدفع النساء إلى تحديه، وشعاره هو «انني اقدم على أي شيء وغالباً ما أفوز بما أريد، لا شيء أخسره وأفوز بكل شيء» هذا هو كين ماريوت، فهي تعرفه جيداً، وجيداً جداً، فهو لن يتغير لأجلها، ولعلاقة تطول مدى الحياة، تحتاج ليزا إلى حب من غير النوع الذي يقدمه اليها كين، ولكن بالنسبة لعدة ايام فقط...

www.elromancia.com

كانت ترى ان من الضعف الإذعان لما يقوله حين لن يغير هذا من الأمر شيئاً بينهما، وقضاء هذه العطلة الأسبوعية معه تعني الإنغماس في أسوأ انواع الحب، فهو لا يحبها، ولم يحبها قط ولكنها ستراه مرة أخرى فقط... مرة تودعه فيها وتختزن في ذهنها، ما امكنها من الذكريات عنه... الحسن والرديء. ومن ثم تودعه إلى الأبد.

قالت له: «سأقابلك في المطار.»

«ليزا، انني لا اعرف أية طائرة سأستقل.»

فأصرت قائلة: «اتصل بي هاتفياً واخبرني.» لم تكن تريده ان يحصل على كل ما يريد وخاصة في آخر عطلة اسبوعية يمضيانها معاً.

«ولماذا لا نجتمع في شقتي؟»

«لأنني أريد ان اتحدث اليك أولاً، وإذا لم يكن حديثنا شافياً، يا كين، فقد لا أذهب معك إلى شقتك.»

«لا بأس، سأكون على طائرة الساعة السادسة.»

«ظننتك قلت انك لم تعرف بعد أي طائرة ستستقل.»

«لقد قررت لتوي.»

فقالت بلهجة لاذعة: «ما اجمل هذا، وشكراً لتذكيري أي وغد انت عندما تريد ان تحصل على ما تريد.»

فقال بلهجة جافة: «ان اللطف والرقة لا يغيران بشيء.»

«انني استوعبت الدرس، ياكين. ويوماً ما ستأسف على ذلك.»

قالت ذلك بحدة ثم اقفلت الخط.

الفصل الثاني

أخذت ليزا تجاهد في سبيل التخلص من التوتر الذي تملك اعصابها. لقد تأخرت ولم يكن ذنبها أن طال اجتماع المديرين عن المعتاد فلم ينفضّ قبل الخامسة، ثم هناك حركة السير المزدحمة.

العمل بالنسبة إلى كين كان يأتي في المقدمة على الدوام. بهذا أخذت ليزا تحدث نفسها. فكم من المرات تركها تنتظر إلى أن ينتهي مما كان يقوم به. لقد تركها تنتظر ثلاثة اسابيع بطولها فلتدعه يتذوق شيئاً من دوائه إذن.

وإذا هو انتقدها لتأخرها عن القدوم لاستقباله في المطار، فهي... إنها... وصدرت عنها ضحكة خشنة بعد أن ادركت أنها لن تفعل شيئاً. لقد كان السبب في توترها هذا هو أنها لم تكن تعتقد بأن كين ماريوت سينتظرها. فهو حالما يدرك أنها ليست في انتظاره... كلا، إن كين ماريوت لن ينتظرها.

كان كل شيء منحازاً لجانب واحد. فمهما فعل كين فهو الصواب على الدوام. فإذا هي تجاوزت الحد مليمتراً واحداً، فهي مخطئة مهما كان السبب في تجاوزها ذاك. وتملك الغضب ليزا من الضعف منها أن تستمر في ذلك وعليها أن تواجه كين بجرأة فتستدير بسيارتها ومن ثم تذهب إلى بيتها.

اتجهت عيناها إلى الساعة أمامها، مرة أخرى كانت السادسة والدقيقة الثانية والعشرين. وتحركت اصابعها على عجلة القيادة بقلق وهي تنتظر فتح اشارة المرور. إن

حركة السير مزدحمة دوماً مساء الجمعة وهذا يعني أنها لن تصل إلى المطار قبل عشرين دقيقة أخرى.

كان من الغباء متابعة طريقها. ولكنها كانت قالت إنها ستقابله في المطار ولهذا عليها أن تتابع حتى ولو لم يكن هو هناك.

وإذا هو لم يكن هناك، فهذا يكفي وهي لن تلحق به إلى شقته ابداً. إنها لن تمنح كين ذلك الشعور بالرضى مرة أخرى، فإذا كان يريد هذه العطلة الأسبوعية الأخيرة معها لكي يجرب المصالحة فالأفضل أن يكون في انتظارها في المطار مهما تأخرت. وبعد، ان عذرها معها في هذا التأخير.

وسيكون في هذا امتحان لاخلاصه. وابتسمت ساخرة.

أو ربما هو امتحان لمبلغ رغبته في ما تقدمه له من تسلية وترويح عن النفس. فبعد ثلاثة اسابيع لا بد انه سيكون غاية في الارهاق هذا إذا لم يكن يخدعها بالخروج مع نساء أخريات.

وكانت تعلم جيداً أن هذا في منتهى السهولة بالنسبة لكين ماريون. فالنساء تدور حوله، وبإمكانه ان يحصل دوماً على من يريد بمجرد نظرة من تلك العينين الماكرتين.

ولكنهما كانا منسجمين معاً. وهو ما كان ليرضيه أي شيء أقل من التجاوب الذي يلقاه منها، فإذا كان حريصاً على ذلك، هذه الليلة فسينتظرها.

أخذت تفكر في أيامهما الماضية معاً، وقد استغرق إزالة الغشاء عن عينيها زمناً طويلاً.

إن علاقتهما لم تنته إلى شيء ولهذا من الأفضل لها أن تسير في حياتها من دونه.

ما الذي كان قال: «حلوتي، حبيبتي الرقيقة ليزا.»

حسناً، لم يعد هناك بعد الان، كين العزيز القاسي.

أضاءت اشارة السير الخضراء.

استغرقت الرحلة إلى المطار اكثر مما كانت ليزا تظن. وفي الوقت الذي وجدت فيه مكاناً توقف سيارتها فيه كانت الساعة قد بلغت السادسة والخمسين دقيقة. ومضت خمس دقائق أخرى قبل أن تدخل الى غرفة الانتظار في المطار حيث المفروض أن كين ينتظرها فيها. هذا إذا كان ما يزال هناك.

جالت عيناها بحدة وانفعال بين الجموع، وكان المطار يموج بالمسافرين ما بين منتظر الرحيل أو واصلٍ لتوه لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. فإذا كان كين يراقب المدخل، فمن المحتمل جداً أن يراها لحظة دخولها وهكذا وقفت جامدة في مكانها راجية أن يراها. ولكنها رأته قبل أن يراها.

وكالعادة قفز قلبها لرؤيته ثم أخذ في الخفقان بسرعة بالغة، ولم يعد يهمها كم في حبها له من غباء وتدمير للنفس انها تحبه ولمجرد النظر إليه سرى في كيانها الدفء.

نهض كين ماريوت واقفاً بين الجموع، فلفت انظار من حوله. نظر إليه المارون، وقد جذبتهم شخصيته المتميزة بشيء لا يُدرك كنهه. كما لوى أعناق النساء لإلقاء نظرة أخرى عليه، كما يحصل على الدوام بالنسبة إليه. ذلك أنه عدا عن وسامته الفائقة، كانت الرجولة تنضح منه.

النمر المخملي... التصقت هاتان الكلمتان في ذهنها من فيلم سينمائي كانت شاهدته وكان هذا وصفاً صحيحاً لكين ماريوت.

كان شعره أسود كثاً ولامعاً كالحرير. وكانت عيناه سوداوين جذابتين يعلوهما حاجبان طويلان أسودان جذابان للغاية.

كان قميصه القطني الأبيض مفكوك الأزرار إلى منتصف صدره، دون اكترات منه مبرزاً صدره الذي لوحت بشرته الشمس. وكان بنطلونه الجيد التفصيل يلائمه تماماً، وكذلك حذاؤه ذو الجلد الايطالي. وكانت حقائبه موضوعة عند قدميه.

تساءلت ليزا عما اذا كان كين يراها، كما يراها جاك كونواي، مجرد صورة جميلة يقدمها الى المجتمع. ولكنها سرعان ما نبذت هذه الفكرة، ذلك ان كين لم يكن يهتم بابرازها للناس. فهو لم يهتم قط بنوع ما ترتديه من اللباس حين كانا يذهبان الى مناسبات اجتماعية. كلا، بل كان هنالك شيء واحد كان كين يحرص عليه، وهو ان يكونا متلائمين معاً.

رأت رأسه يلتفت متفحصاً ذلك الجمع. وعندما لمحها بدت الحدة والعنف في نظراته مبدداً منها اللامبالاة وكادت ترى وكأن سلكاً كهربائياً سرى في كيانه رافعاً حيويته الى اقصى حدودها.

تملكتها مشاعر الثورة والتمرد. إذا كان سيعنفها لتأخرها وتركه ينتظر فستستدير على عقبيها وتخرج من هذه القاعة. توترت ملامحه موشكاً على العبوس للحظة، ما لبثت بعدها أن استرخت ولكنه لم يبتسم.

وجدت نفسها من التوتر بحيث لم تستطع الابتسام له هي ايضاً، وإنما أخذت تحدق إليه وقد أخذ قلبها بالانقباض. لم تعد ترى احداً من تلك الجموع التي كانت بينهما وحولهما.

وساورها حس يتعذر فهمه بأنها كانت وما زالت وستظل تنتمي إلى هذا الرجل، قد تسلخ نفسها عنه ولكنها لن تنساه ابداً. ذلك ان جزءا منها سيبقى ملكه على الدوام فقد سيطر على مشاعرها منذ البداية ولن يفلح البعاد ولا الزمن ولا أيّ قرار منها في أن يغيّر ذلك. لقد كان يخطىء في حقها، ولكنه بشكل ما كان يصلح لها.

حمل كين حقائبه واتجه نحوها وعيناه في عينيها طوال الطريق تأمرانها بالبقاء حيث هي.

لم تتحرك، فقد تلاشت عزيمتها ووهنت قواها إزاء ما أثاره في نفسها من مشاعر.

وضع حقائبه على الأرض وتقدم منها يحييها كالعادة وكأن لم يحدث بينهما شيء، وكأنها لم تتأخر الى حد غير معقول... وكأنه يحبها حقاً ولا يريد سواها... وكأن من المسلم به أنها ملكه هو وله كل الحق فيها.

رأت نظراته والتي كانت تنصبّ في نظراتها تضطرم فيها التساؤلات دون أثر من حب. لم يكن يحب الانتظار على الاطلاق.

ولكن كرامتها الغاضبة لم تلن. إنه لن يجدها سهلة بعد الآن. لن يأخذ منها كل شيء دون عطاء منه بالمقابل. كانت تريد ان تشعر بأنها محبوبة.

«انك تأخرت.» قال ذلك وكأن شيئاً في داخله كان يخشى ألا تحضر على الاطلاق.

فأجابت شاعرة باللهفة الى أن تشعر بأنها مهمة في حياته، وأنه يريدها طوال حياته أجابت تقول: «لم أكن اظن انك ما زلت بانتظاري.»

فقال بشيء من الخشونة: «ولكنني انتظرتك.»

قالت والاسئلة تعذب نفسها عما إذا كان يهتم بها حقاً كما تهتم هي به. قالت تجيبه: «لقد أخّرني اجتماع المديرين.»

فقطب حاجبيه: «وماذا كانوا يقررون؟» سألها ذلك بلهجة بات فيها السأم.

وكانت ليزا تعرف تلك اللهجة فقد كان كين يستعملها للتمويه عندما يكون هناك ما يثير اهتمامه. تماماً كذلك الاجتماع الذي كان عقده مع الشركة الدولية المختلطة عندما كانت القرارات التي يبحث في أمرها أكثر اهمية منها هي طبعاً، وشعرت بغيرة مرة سمّمت آمالها التي كانت هي قد سمحت لها بأن تعود إلى نفسها وقلبها.

وقالت له متهربة: «أشياء مختلفة.»

استحال تقطيب حاجبيه إلى قسوة في ملامحه حتى اوشكت أن ترى القرار يتشكّل في ذهنه وهو انه سيعرف ذلك فيما بعد. بعد ان ينتهي من ليزا. وقد يكون تصميمه على معرفة ما جرى في ذلك الاجتماع اقوى من تصميمه على استعادتها هي إليه.

قال بنظرة ماكرة: «إن مكان الاجتماع الذي وقع عليه اختيارك غير ملائم، يا ليزا فهو مزدحم بالناس وأرجو ان تكوني مرتاحة فيه اكثر مني.»

فهمست وهي تعلم غرضه: «وماذا لو كان مزدحماً بالناس؟»

«هذا يمنعنا من أن نتصرف كما نحب.»

كانت كلماته هذه، وإن لم يدرك ذلك، كانت أشبه بنذير الموت.

«لقد سيطرت على مشاعرك مدة ثلاثة أسابيع ويمكنك اطالة ذلك فترة قصيرة.» وكانت السخرية التي قالت بها ذلك تغطي آلاف المشاعر الأخرى.

قال: «ومن يريد ذلك؟»

فأجابت ببرودة: «أنا.»

استحالت الرغبة في عينيه الى سخرية وقال: «فلنذهب في طريقنا، فأنا بحاجة إلى طعام وشراب وأيضاً بحاجة إليك. ثم إنني أريد أن أعلم ما هي الأمور الهامة التي بحثت في ذلك الاجتماع الذي جعلني انتظر ساعة.»

تجاهلت إشارته تلك الى الطعام والشراب وحاجته إليها، كما تجاهلت كذلك إشارته الى المعلومات التي يريدها لعمله الغالي.

قالت وعيناها تفيضان بتمرد مرّ: «لقد ساءك ان جعلتك تنتظر، أليس كذلك؟»

أجاب دون ان يحاول التخفيف من استيائه، ذلك أن التساهل لم يكن من طباع كين ماريوت قال: «نعم، لقد ساءني.»

«ولكن ليس لديك مانع في جعلي انتظر.»

فقال بكل الغطرسة التي اصبحت تكرهها: «إنك تعلمين أن هذا شيء مختلف.»

فقالت بغضب: «كلا، هذا غير صحيح.»

توترت ملامحه، وبدا التحذير في عينيه وهو يسألها بلهجة ناعمة خطرة: «هل هذه هي طريقتك في العودة إليّ، يا ليزا؟»

فقالت متحدية: «وما الذي يجعلني أقوم بذلك؟ ما دمت لا تقترف أي خطأ؟»

فاشتد التحذير في عينيه: «إنك تجعلين المصالحة بيننا صعبة قدر الإمكان.»

«وكيف؟ كل ما أطلبه منك هو أن تكون عقلانياً.»

«ولكنني كذلك، فأنا دوماً عقلاني وهذا هو السبب في وصولي إلى مركزي هذا.»

«لم يكن لي حيلة في تأخري هذا.»

«كان يمكنك أن تتصلي هاتفياً بالمطار وتتركي خبراً. ثم تقابليني في شقتي. لقد تعمدت تركي انتظر هنا، يا ليزا.»

لم يكن قد خطر ببالها الاتصال بالمطار. ففي اعماقها لم تكن تعتقد انه سينتظر. ولكنها لم تشأ أن تعترف له بهذا، فقالت: «إنك جعلتني انتظر ثلاثة اسابيع دون أن تفكر في أن تخبرني إلى متى ستتأخر.»

فتوتر فكه: «أنا نفسي لم اكن أعلم كم سأتأخر ثم ان لا وقت عندي للناس الذين يصعبون الأمور لمجرد الرغبة في ذلك. فإذا كانت هذه طريقتك في الوصول الى التفاهم...»

قاطعته بحدة: «إذا كان هذا هو حكمك عليّ، فأنا لا أرى أي مجال للتفاهم بيننا.»

بدا في عينيه نفاد الصبر: «ليزا، قرري أمرك الآن. هل تريدينني في حياتك أم لا؟ فإذا لم تكوني تريدينني...» وأشار إلى الباب الذي اقبلت منه: «فهناك باب الخروج من المحطة ومن حياتي.»

هتفت بها كبرياؤها في أن تذهب الآن، أن تتحداه وتخرج ولكن مشاعرها وسيطرة شخصيته الطاغية عليها قيدا حريتها، وحام في ذهنها الفراغ الذي سيملأ حياتها، ضارعاً إليها بأن لا تستعجل. لقد كان كين شديد الضيق من

هذا الانتظار ولكنه انتظر فعلاً، رغم انها لم تتصل به هاتفياً، كما كان ينبغي كما كانت هي نفسها شديدة التوتر مما كان يغلي داخلها من مشاعر. وتنفست بعمق تهدىء من نفسها قبل أن تقول: «إنني مستعدة للتجربة أثناء هذه العطلة الأسبوعية الأخيرة. ثم أرى بعد ذلك. وسأقرر أمري مساء الأحد.»

فقال بحدة: «وهذا ما سأفعله أنا.»

«ماذا يعني هذا؟»

فلم يجب وتنفس بعمق ثم نفث نفساً حاراً وكأنه يكبت عواطف جياشة. وعبرت وجهه لمحة من الألم قبل أن تكسوه ملامح متحجرة لا تكشف شيئاً عما يخفيه من أفكار ومشاعر. ثم توقف وانحنى يلتقط حزمة ملفوفة بالورق كانت سقطت بجانب حقيبته، ثم دسها في يدها وذلك بحركة غاضبة عنيفة.

فكت الحزمة وقد تملكتها الحيرة، كانت باقة غير منتظمة من أزهار البنفسج. فضحكت وقد تملكها التوتر لهذه الهدية والطريقة التي قدمها بها إليها. ثم قالت وهي تهز رأسها:

«يا لك من رجل، يا كين. هل هذه هي المفاجأة التي وعدتني بها؟»

فنظر إليها باستياء، ثم قال عابساً: «إنها جزء منها. إنني لم أفعل ذلك قط من قبل.»

قالت وهي تنظر إليه بعجب، باحثة عن معنى ذلك: «كلا، إنك لم تفعل هذا قط.»

لم يحدث أن قدم إليها أشياء شخصية لا شيء خاصاً بها. لقد اعتاد أن يدعوها إلى العشاء، المعارض، الأندية الليلية دون أي اهتمام بما ينفقه من نقود على الترفيه والمسرات

التي يتشاركانها. ولكن اللفتات الشاعرية كالأزهار أم الهدايا الصغيرة الأخرى لم تشكّل أي جزء من علاقتهما فمثل هذه الأمور ليست من طبيعة كين.

لم يسبق أن حدث ذلك من قبل...

فلماذا يحدث الآن؟

هل هذه الأزهار يقصد بها مراضاتها بعد تلك المكالمة الهاتفية الغاضبة هذا الصباح؟ أزهار لكي ينال بها ما يريد منها؟ ولكن ألا يظن أن الورود أكثر ملاءمة لغرضه؟ ان أزهار البنفسج هي اختيار خاص جداً، وكأنه يفكر في أنها هي ليزا شخص خاص مميز بالنسبة إليه وليس مجرد فتاة يستمتع بوقته معها.

قالت له برقة: «شكراً يا كين.»

فانبسطت اساريره المتوترة بابتسامة ساخراً من نفسه وهو يقول: «إن أي رجل يمكنه أن يكون احمق احياناً.»

فقالت تلومه: «إن تقديم زهور إلى المرأة ليس مما يناقض الرجولة.» لقد ادركت الآن السبب الذي جعله يلف الأزهار في ورقة. فمثل هذا التنازل منه هو ضد طبيعته. فهو يعني بالنسبة إليه، رمزاً للضعف وتعبيراً عن مشاعر نحوها ربما هي اكثر عمقاً من مجرد الرغبة.

قال لها ببطء وهو ينحني ليحمل حقائبه: «لا تظني أنها ستصبح عادة.»

حدثت ليزا نفسها بأن من الجنون أن تضخم من شيء كهذا ولكن عندما توجها نحو سيارتها، لم تستطع ان تمنع نفسها من أن يتزايد شعورها بالبهجة لهذه الأزهار، فتمرر أصابعها عليها تلامسها برقة ثم ترفعها الى انفها تتشممها

مرة بعد مرة. لو أن كين أراد أن يوقظ مشاعرها نحوه، لما اختار طريقة أحسن من هذه.

أتراه يعلم ذلك؟

وهل تعمّد هذا الأمر؟

ذلك أنه لم يفعل هذا قط من قبل.

ولكن لم يحدث من قبل أن ابدت مثل هذا التمرد.

وذكرت نفسها بأن تلطفه هذا لن يفيد.

وألقت عليه نظرة متفحصة وهو يسير بقربها وقد بدا على ملامحه التفكير العميق. ثم قررت انه لم يتعمد ذلك.

وابتسمت. لقد احرزت نصراً وان يكن صغيراً إلا أنه نصر على كل حال وهذا موضع تساؤل وشك ولكن أمامها العطلة الاسبوعية يمكنها فيها ان تعرف السبب. وقررت ان تعرف اثناء هذه العطلة كثيراً من الاسباب. وربما كان بإمكانها ان تدوّن ما هو خطأ، أو على الأقل ما يكفي منها لتحسين علاقتهما.

لا بد أن يومين هما كافيان جداً لمعرفة ما إذا كان هناك حقاً مجال للمصالحة.

ورأت ليزا بعين البصيرة تضارب الآراء والرغبات التي سيواجهانها والتي عليهما ان يجدا لها حلاً. ويا لها من عطلة سيمضيانها.

الفصل الثالث

وصلا إلى السيارة فأخرجت ليزا مفاتيحها تناولها له ليفتح صندوق السيارة لكي يضع حقائبه.

ألقى بالحقائب في الصندوق ثم اغلقه وهو يقول: «سأقود أنا السيارة.» ثم اتجه نحو الباب الآخر ليفتحه لها.

قالت له وقد ساءتها وقاحته: «إنها سيارتي.»

فوقف ونظر إليها ساخراً: «إن بإمكاني أن أسرع بها أكثر منك.»

«لا أريد ان أقود بسرعة.»

واستدارت حول السيارة ثم مدت إليه يدها تطلب المفاتيح، وقد صممت على ألا تدعه يسير أثناء هذه العطلة، وفق قواعده.

تنهد متعباً وهو يقول: «ما الذي تريدينه مني يا ليزا؟»

فكرت هي في أنها تريد منه كل ما يمكن ان يمنحه المحب لحبيبته. إن شيئاً من الاهتمام والاعتبار يغطي كثيراً من الاخطاء. وكذلك بعض الاحترام لرغباتها. ولكن كين لم يكن في مزاج يمكنه من احتمال وابل من انتقاداتها.

نبّهت نفسها إلى أن عليها أن تهاجمه بأمر واحد في كل مرة، وما دام هو يتباهى بأنه عقلاني، فعليها أن تكون عقلانية هي ايضاً.

قالت بصوت هادىء منخفض: «أولاً، أريد أن اعرف لماذا لم تحمّل نفسك عناء مكالمتي هاتفياً طوال الوقت الذي غبته.»

فأجاب: «سبق واخبرتك بأنني كنت أعالج أزمة صعبة.»

«هل كان ذلك في كل دقيقة من كل نهار؟ بما في ذلك عطلات نهاية الأسبوع.»

سألته ذلك دون أن تفلح في اخفاء نبرة الشك من صوتها.

«نعم.»

«أما كان بإمكانك أن تستغني ولو عن خمس دقائق؟»

«لماذا، يا ليزا؟»

«لتتحدث إلي. لكي تجعلني أعلم انك لم تنسني كلياً.»

«لقد اتصلت بك هذا النهار. وأنا هنا لأنني لم استطع نسيانك.»

«ليس هذا هو الموضوع.»

«وما هو الموضوع؟»

حوّلت عينيها عن عينيه شاعرة بوجهها يتوهج. لم تسأله ذلك من قبل قط وكرهت أن تسأله الآن، ولكنها كانت تريد وبحاجة إلى أن تعلم. فإذا كان غير مخلص لها فهي لن تنظر اليه بعد ذلك مهما كان مبلغ حبها له. ثم أرغمت نفسها على التحديق فيه متحدية: «هل اعتدت أن تكون مع امرأة أخرى اثناء هذه الرحلات يا كين؟»

فهز رأسه وكأنه لا يصدق أن من الممكن ان تساورها مثل هذه الشكوك ونظر إليها ساخراً من مخاوفها: «هل هذا هو سبب كل هذه الأمور يا ليزا؟»

فكرت في أن هذا ليس وحده السبب، ولكنها لم تجبه. وانتظرت عسى أن تلمح ومضة من التهرب تصدر عنه، وقد تملكها التوتر.

التوت شفتاه باشمئزاز: «سؤالك هذا لا يستحق الجواب ولكن بما أنه يبدو انك تريدين جواباً دعيني اخبرك بأن

علاقتنا كانت ستنتهي لو انني اردت امرأة اخرى. أما بالنسبة إلى الاتصال بك هاتفياً فهل تتصورين ان ذلك يثبت شيئاً؟» وبدت السخرية في صوته.

«لو كنت أسير في ذلك الطريق الذي تقصدين لكنت خدعتك بالاتصال بك كما اخدعك بالطرق الأخرى.»

فتملكها الارتياح فقد رأت كلامه معقولاً وكين ماريوت يريد لنفسه الأفضل دوماً، إذ من مبادئه أن ينبذ ما ترتيبه الثاني في الأفضلية وتبع شعورها بالارتياح موجة من السرور. لقد شعرت أنها بالنسبة إلى كين ما زالت هي الأفضل ومع ذلك فهو لم يكن يعاملها كما يجب حسب مقاييسها.

وأصرت تقول بعناد: «لماذا لم تتصل بي؟ كان هذا يعني الكثير بالنسبة إلي لو أنك فعلته.»

«ليزا إذا كنت تريدين رجلاً يمتثل لمطالبك فابحثي عن غيري فأنا لست العوبة بيد أحد.»

وفتح لها باب مقعد القيادة وقد لمعت عيناه بتحدٍ غاضب: «ما دمت تريدين أن تريني مهارتك في القيادة، فلا بأس.»

لم تشعر ليزا من قبل بعدم رغبة في قيادة السيارة منها الآن. فهي لا تشعر بأي سرور وزحام السير يخنق الشوارع، خصوصاً وكين بجانبها بمثل هذا المزاج السيء والذي يدفعه إلى انتقادها لأقل هفوة. ولكنها كانت قد اتخذت موقفاً ولم تعد تستطيع التراجع دون أن تبدو تلك الفتاة التافهة كما يتهمها. وهكذا تناولت المفاتيح منه، ثم صعدت إلى المقعد وراء عجلة القيادة، وأغلق هو الباب خلفها بحدة.

ولم يكن كين راضياً عن تصرفاتها هذا المساء.

تنفست ليزا بعمق، لتطلق آهة طويلة مرتجفة كانت هي

أيضاً غير راضية بتصرفاته ما عدا... ورفعت باقة البنفسج إلى وجهها تدفن أنفها في شذاها. ربما اشترى لها هذه الأزهار الجميلة لأنها كانت لديه أفضل امرأة. وعندما تهالك كين على المقعد بقربها، استدارت بسرعة لتضع الأزهار على المقعد الخلفي بعناية.

قال: «لا يوجد مكان للساقين في هذه السيارة.»

لم تكن سيارتها النيسان الصغيرة تماثل سيارته الجاغوار الفخمة، ولكنها صالحة للتجوال بها في انحاء المدينة. ولكنها لم تهتم بالاعتذار عن ذلك.

شدّت حولها حزام الامان، وانتظرت إلى أن أنهى هو شد حزامه فركزت اهتمامها على الخروج من الموقف دون ارتكاب أي خطأ وعندما اصبحا ضمن حركة السير في الشارع الذي يقود إلى المدينة اراحت نفسها من التركيز على القيادة لكي تعيد النظر في وضعهما.

لم يكن كين قد نطق بكلمة منذ شرعا في السير وبدّد التوتر الذي ساد الجو بينهما أي حظ في تبادل الحديث بشكل طبيعي. وكانت هي قد طلبت هذا الوضع لأنها كانت بحاجة إلى التحدث إليه. ولكنها، عندما أصبح بجانبها، أدركت أن الاجوبة التي كانت تريدها ليست من النوع الذي يمكن ان تحصل عليه مباشرة. كان من المستحيل تقريباً توجيه اسئلتها ولكن عليها أن تبدأ في موضوع ما.

سألته بتردد: «ما الذي تريده من هذه العطلة الأسبوعية يا كين؟»

أجاب: «أريدك أنت.»

«أهذا كل شيء؟»

فانفجر يقول متضايقاً: «ما الخبر، يا ليزا؟ أليس لديك أي ادراك بأنه ما كان لي أن لكون هنا؟ كان عليّ أن أكون في فيكتوريا أشرف على ما ينبغي أن يُعمل. فالسبب الوحيد الذي جعلني أحضر إلى هنا هو أنت.»

كان هذا سار اللغاية ولكنها رأت أن من غير المنطقي أن يتوقع منها ادراك أشياء بينما لم يزعج نفسه بإبلاغها وضعية عمله بالتفصيل. وعلى كل حال فهي تعلم الآن أنه سيعود إلى فيكتوريا بعد عطلة الأسبوع هذه، وهكذا تكون هذه رحلة غير عادية ولم تعرف قط من قبل أن كين ترك شيئاً قبل أن ينتهي منه تماماً.

سألته: «هل لديك خطة أو غرض من وراء هذه العطلة الاسبوعية.»

فاندفع في مقعده إلى الخلف وهو يتنهد ثم يقول بضجر: «إن لديّ رؤيا عما أريده.»

دوماً كان لدى كين سبب ما. فلا شيء يحدث دون سبب على الاطلاق، ولم تستطع ليزا أن تصدق أن رؤياه تلك تتركز عليها. فالأسبقية عنده هي لشركته الهندسية فقط. ثم قررت ان تجس الأمر أكثر من ذلك فقالت ساخرة: «ما أحسن ان أعرف أنني أعني شيئاً في حياتك ولكن الاتصال الهاتفي كان أسهل بالنسبة إليك.»

قال ببطء: «إنه لا يمنح نفس الشعور بالرضا.»

أخذت تفكر ساخرة في أن هذا طبيعي وقالت: «ما دام ليس لديك امرأة أخرى بجانبك فلا شك أنك كنت بحاجة إلى الراحة والاستجمام.»

فقال بحدة: «ما الذي تعنينه بذلك؟ تباً لذلك، يا ليزا أتريدين أن تفسدي كل شيء قبل أن يبدأ؟»

فانفجرت تقول: «كلا فأنا لا أحاول إفساد أي شيء قبل أن يبدأ. إنني فقط أريد ان احصل على بعض الأجوبة، مثل ماذا اعني لك في حياتك.»

فقال: «إنني هنا، أليس كذلك؟»

قالت ساخرة: «نعم أنت هنا. فهل هذا يعبّر عن الانانية لأجل رغباتك، أم عن العطاء لأجل رغباتي؟»

«الإثنان معاً.»

نطق بذلك دون أي تردد وكان في هذا نوع آخر من الاهتمام بها لم تكن تتوقعه.

نظرت إليه وقد تصاعد الأمل في نفسها، فقال: «ركزي اهتمامك على القيادة يا ليزا.»

قالت متمنية لو تستطيع قراءة افكاره: «إنك متوتر للغاية.»

«إلى أقصى حد.»

«أتشعر بالاحباط؟»

«إلى حد بالغ.»

«أهذا بسببي أم بسبب العمل؟»

فاطلق ضحكة قصيرة خشنة: «الإثنان.»

رمقته بنظرة خاطفة، فقال ساخراً: «سأتخلص من ذلك فأنا اختصاصي في مثل هذا الأمر.»

كانت هذه نصف المشكلة مع كين على الأقل اكتفاؤه الذاتي الصلب. وكانت ليزا تعيده إلى نتيجة طلاق والديه حين كان في الثانية عشرة من عمره. فكان الشعور الوحيد بالامان الذي يثق به هو ما يصنعه لنفسه. وفي الثالثة والثلاثين، لم يكن كين مستعداً لتغيير ما كان وفره لنفسه بنجاح.

كانت ما تزال تجهل مكانها في حياته. فقد كانت معظم

علاقاته تتعلق بعالم الأعمال، وكانت تشك في عمق أي منها. لم تكن له علاقة بأي من والديه، مع انه كان قد تحدث إليها عن شقيقة صغرى كان يزورها في المناسبات إلا أن ليزا لم تقابلها قط. كما أن كين لم يشأ قط ان يتعرف إلى أسرتها.

كان هذا ينبوعاً آخر لشعورها بالمرارة في علاقتها به. فقد كانت بالغة الحب لأسرتها فهي جزء هام من حياتها ومتمم لها ولم يشأ كين أن يدرك هذا فكيف بالقبول به. وكان يتملكه السأم كلما تحدثت عن والديها واخوتها الثلاثة الذين يكبرونها.

كان الشخص الوحيد في الاسرة الذي تعرف إليه هو الشقيق الذي كان يشاركها الشقة، وحيث ان طوني كان طياراً وغائباً اكثر الاحيان فقد كانت مقابلاتهما قصيرة.

كان والداها يعيشان خارج المدينة مباشرة وليس في مكان بعيد لذا، لم تسمح الظروف لهما ليتعرفا على كين. وفي الواقع كانت ليزا غالباً ما تزورهما لتمضي ليلة عندهما. ولم يكن كين يحب ان يشرك مع ليزا احداً آخر في وقته، إلا إذا كان ذلك يتعلق بالعمل.

كان رجلاً انطوائياً. وإذا كان صادقاً فقد بقي مخلصاً لها طوال علاقتهما التي استمرت عاماً كاملاً. وتساءلت عما إذا كان من الممكن ان تكون هذه ميزة حسنة فيه، ولكنها عادت فتذكرت ما كان قاله من أنه سيقرر هذه العطلة الاسبوعية ما اذا كان يريد أن يستمر في هذه العلاقة معها. فهل سينهيها بصرف النظر عن قرارها؟ وألقت بها هذه الفكرة في دوامة من المشاعر.

سألته: «متى ستعود إلى فيكتوريا، وكم ستغيب؟»

كان هذا سؤالاً هاماً بالنسبة إليها. فقد كانت تريد أن تعلم ما بإمكانها أن تتوقعه منه... وما إذا كان ثمة أيّ مستقبل لهما معاً بعد هذه العطلة الأسبوعية.

فتنهد مرة أخرى بضجر وهو يقول: «لا أعلم.»

ألقت عليه نظرة. كان يبدو متعباً للغاية وبالغ الارهاق، فقالت برقة: «لقد اشتقت اليك.» وكان صوتها ينضح بالحنين كانت تريده أن يتصل وأن يبقى على اتصال بها، أن تشاركه حياته ويشاركها حياتها.

قال بابتسامة ملتوية: «وأنا اشتقت إليك أكثر بكثير.»

كان هذا اعترافاً نادراً ما يصدر عنه. ربما كانت الرقة قد بدأت تتملكه. فابتسمت له بعطف قائلة: «الا يمكنك ان تجد من يشرف على العمل بدلاً منك.»

«سأفعل ذلك إذا حصلت على مشروع وينجيكامبل.»

حولت ليزا انتباهها بسرعة إلى الطريق. لقد ساورتها الشكوك وهي تتذكر القرارات التي اتخذت اثناء اجتماع المديرين عصر هذا اليوم. أترى كان كين يعلم أن العطاء الذي عرضه كان سيجري بحثه اليوم وهل هذا هو السبب في حضوره إلى بيته لكي يستخلص منها المعلومات؟ أتراه يستغلها في شيئين الحب والعمل.

سألته بلهجة عفوية: «كنت أظن انك قدمت لشركتنا عطاءين.»

«هذا صحيح. انني بحاجة إلى وينجيكامبل. وإذا حصلت على مشروع جيسامين أيضاً يكون هذا أفضل.»

انتظرت عدة لحظات، ولكنه لم يلاحق الموضوع. وساورها خيط من الأمل. ربما كان لعلاقتهما هذه الأولوية عنده ولو مرة. فسألته: «لماذا وينجيكامبل بهذه الأهمية؟»

«لأنني أعيش على شفا الهاوية. فلولا قانون ضريبة العشرة بالمائة الذي يعمل لمدة سنتين لكنت الآن مستقلاً مالياً طوال الحياة. وهذا كل ربحي وعليّ أن انتظره عامين. ومن دون وينجيكامبل... تباً لذلك! إنني بحاجة إلى تلك السيولة وذلك لكي تنتعش أعمالي.»

هذا يفسّر سبب توتره وضيقه. لماذا يعتبرها في المكان الثاني من حياته. فالانتعاش اقتصادياً هو دوماً في المقام الأول عند كين. ولكن شعور ليزا قد أصبح الآن أفضل بكثير وخصوصاً لأنه لم يسألها عن العطاءات في الشركة.

ربما حياته يهيمن عليها الرغبة في المال والكرامة والنجاح والحاجة إلى تغذية زهوه واعتباره لنفسه ولكن ربما كان لها مركز هام هي ايضاً في حياة كين فهو قد جاء إلى بلده ليكون معها، وقد اظهر اهتمامه بها.

انتعش في ذهنها قرار جديد. انها ستمنحه كل شيء يريده اثناء هذه العطلة الأسبوعية الراحة والاستجمام اللذين يبدو واضحاً حاجته إليهما. وتساعده بكل امكانياتها.

قالت له مستطلعة: «ربما، إذا كنت تدير أمورك المالية على غير ما ينبغي يمكنك أن تخفض من مستوى معيشتك. فلا تنفق الكثير من المال على نفسك.»

قال بحدة: «لا تحاولي أن تعلميني كيف أدير اعمالي، يا ليزا فما انفقه على نفسي في عام واحد لا يؤثر مقدار ذرة في ما ادفعه للضرائب وهذا عدا الراتب الأسبوعي الذي ادفعه للموظفين عندي.»

هذا جزاؤها لأنها حاولت مساعدته وقالت: «اظنني لا أفهم شيئاً في عالمك المالي.»

«نعم، أنت كذلك.» أجابها وكأنه يعلن أمراً معروفاً دون أي تواضع أو رقة ذلك ان كين ماريوت يسير بحياته دوماً في الطريق التي يراها تناسبه.

تنهدت باستسلام: «في هذه الحالة، اظن ليس لدي ما اقدمه إليك سوى..»

لم تستطع أن تكمل الجملة، ولكن كين علم حالاً ماذا تعنيه. لقد حصل على الخضوع الذي يبغيه في هذه العطلة.

همس برقة لم تعهدها منه: «انظري إليّ، يا ليزا.»

نظرت اليه مجفلة وقد تملكتها الإثارة وإذا بقدمها تدوس على دواسة البنزين دون وعي منها، ما أوشكت معه على الإصطدام بالسيارة التي امامها، وقفز قلبها وهي تحول قدمها إلى الكابح.

بعد ان تفادت الكارثة، جذبت نفساً عميقاً، ثم ألقت على كين نظرة عتب وهي تقول بصوت مرتجف: «كيف تتوقع مني التركيز على قيادة السيارة بينما تغازلني بذلك الشكل؟»

فقال بابتسامة ماكرة: «ان لديك دوماً ردات فعل سريعة.»

«كين...»

نظر اليها قائلاً برقة: «انطلقي بالسيارة كالريح، يا ليزا. تخللي كل فجوة في الزحام.»

لقد فقد صوته حدته وتوتره لأول مرة هذا النهار. ما سيحصل مع كين سيحصل. فقد كان دوماً، بالنسبة اليها ذا سيطرة لا تقاوم. وقد تكون هي غبية ضعيفة، ولكنها ستمضي معه هذه العطلة الأسبوعية بأي طريقة.

مهما كانت تحبه، فان هذه العطلة ستكون كالجحيم.

الفصل الرابع

لم يكن الطريق الخاص الذي يقود إلى بيت كين ماريوت، طويلاً فهو لم يكن فقط بجانب المطار، ولكن يمكن الوصول اليه خلال الطرق الجانبية، تجنباً لازدحام الطرق العامة الرئيسية. ولم يكن هذا شقة في مبنى كبير، وإنما منزلاً ذا شرفات وفناء خلفي وكاراج.

فتح كين البوابة إلى الفناء الخلفي لكي تمر ليزا منها بسيارتها لتوقفها على الأرض المرصوفة بالحجارة شأن معظم المنطقة، وكانت وفرة النباتات الإستوائية التي تغطي ناحيتي السياج تؤمن عزلة المكان، كان لاختيار كين لمسكنه هذا يمثل شخصيته. فهو منزل راقٍ في منطقة راقية، كما انه ملائم وقريب من كل شيء، من أماكن العمل واللهو والمتاجر وغير ذلك...

سار كين وليزا خلال الباب الزجاجي المنزلق إلى حيث المطبخ الحديث الطراز. والذي كل ما فيه كان أبيض اللون ومن المعدن غير القابل للصدأ.

كان ديكور الشقة آخر صيحة في الحداثة، فهو بالغ الرفاهية والإثارة. كانت غرفتا الجلوس والطعام في الطابق الأسفل مؤثثتين بالجلد ومعدن الكروم والزجاج بالألوان الأبيض والأسود والأحمر، بلمسات قليلة من الأخضر والأرجواني، ما جعل لكل ذلك تأثيراً غير عادي بجماله.

كان كل شيء في المنزل يصرخ بالثراء، من الأرائك الفسيحة

في قاعة الجلوس إلى المصابيح التي تنطق بالفن الحديث، إلى اللوحات السريالية على الجدران، كانت الجدية والبساطة هي السمة الغالبة، فلا اضافات ولا اشياء لا معنى لها في نظر كين.

عندما دخلا المطبخ، أمسكت ليزا بباقة البنفسج بيدين مرتجفتين وكأنها طلسم.

سألها كين وهو يضع حقائبه على الأرض ثم يتوجه إلى الثلاجة مباشرة: «تريدين طبعاً شرابك المفضل عصير التفاح.»

أجابت: «نعم، شكراً.»

وعندما جاء بكوبين سألته: «هل اعد شيئاً من الطعام؟»

أجاب: «فيما بعد.»

وقفت امام الحوض تضع الأزهار في الزهرية، بينما كان هو يقول بصوت منخفض رقيق: «لشد ما اشتقت إليك هذه الأسابيع الثلاثة.»

«وأنا اشتقت اليك أيضاً، يا كين.»

«أليس هناك رجل آخر، يا ليزا؟»

«كلا.»

«ليس هناك ربما؟»

فهزت رأسها نفياً.

«إياك ان تذكري رجلاً آخر بعد الآن.»

أجابت: «أبداً.»

لقد زرعت تلك الشكوك في ذهنه هذا الصباح ما جرح كبرياءه، فقالت نادمة: «لم أكن أعني ما قلته لك في الهاتف، يا كين، فقد كنت غاضبة منك لأنك لم تتصل بي هاتفياً.»

فهمس يقول بصوت ناعم ساخر: «يا قطتي الصغيرة، عليك أن تتعلمي ان لا تلعبي بالنار.»

قالت تعتذر: «كنت مشتاقة إليك يا كين، وهذا كل شيء.»

«وكنلك أنا... إلى اقصى حد.»

فقالت متأملة: «ما كان لي أن اتحدث عن رجال آخرين.»

قال: «إياك أن تجعلي هذا عادة فيك.» فساورها الأمل في انه ربما يهتم بها حقاً أكثر مما كانت تظن، أم لعل ذلك مجرد حب التملك فيه؟

«هل انت مسرور الآن؟»

«تقريباً.»

«ما الذي تريده اكثر من هذا؟»

نظر اليها طويلاً دون ان تجيب.

بدا لها محبطاً للغاية، ما جعلها تنبذ فكرة أنه كان لديه امرأة أخرى بجانبه. فقد كانت هي المرأة الوحيدة في حياته. لو كان كين فقط اكثر اهتماماً بها، إذن لكانت سعادتها لا توصف معه.

ربما كان لها مكان خاص في نفسه ولكنه لم يقل لها قط انه يحبها، وتساءلت ليزا عما إذا كان ذلك لأنه لم يستطع أن يرغم نفسه على قول شيء لا يشعر به، أو ان ليس بإمكانه ان يقول شيئاً يكشف عن ضعف تجاهها، ام ان ماضيه جعله غير قادر على حب أي انسان؟ وإذا به يسألها برقة: «ماذا تقولين لو أنني قلت لك انني أحبك، يا ليزا؟»

فقفز قلبها ونظرت إليه بمزيج من الأمل والريبة، وانتصرت الريبة. فثمة سبب وراء كل ما يقوله كين، فهو يتكلم من عقله وليس من قلبه. وربما يبحث عما يجعل علاقتهما تستمر بالشكل الذي يريده، لم يكن كين قد احب احداً أو شيئاً في حياته قط من قبل، فقد كره والدته لاتباعها حياتها الشخصية. وكره والده لأنه

لم يجاهد في سبيل ما هو له وقبوله بضعف ما فعلته زوجته به وبولديهما، كره في شقيقته عصابيتها التي تجعلها اتكالية على الآخرين، رغم انه كان يكن لها شيئاً من العطف، ولو كان الحب في طبيعته، لأخمده بصفته شيئاً غير موضع للثقة.

اجابته على سؤاله بعبوس ساخر كانت ترجو ان يخفي الألم الذي كان وراء كلماتها: «كنت أقول انك تكذب.»

«لماذا؟»

«لأنك منذ ساعة كنت في المطار تشير لي إلى الباب قائلاً انه طريق الخروج من حياتك.»

«كنت اضعك امام خيارين.»

«ولكن ذلك لم يملأني بالثقة في مبلغ حبك لي، يا كين.»

فلوى شفتيه: «لقد اعطيتني نفس الشعور بكلامك ذاك في الهاتف.»

أترى كرامته جرحت؟ ما جعله يستفزها إلى القول بأنها تحبه؟ فهي دون شك، هددت حسه بالأمان عندما قالت له انها تهتم برجل آخر، أترى ما يرضيه الآن هو الشعور بأنها ملكه روحاً وجسداً، وعقلاً؟ وفكرت مكتئبة، بأن هذا كله من جانب واحد، ذلك ان كين لا يحبها، وإنما المسألة مسألة نفوذ، وكان هو يريد ان يرى مبلغ نفوذه عليها، وخاطبته بصمت، ان ذلك لن يكون اثناء هذه العطلة، فنحن الآن سنتقابل مقابلة الند للند، يا كين ماريوت، هزت كتفيها قائلة: «ربما نحن غير متلائمين.»

«أهذا هو رأيك؟»

«لقد سبق وقلت لك انني سأعطيك رأيي مساء الأحد.»

«عما إذا كنت مغرمة بي؟»

تعمدت إخفاء مشاعرها وهي تجيبه قائلة: «بل عن استمرار علاقتنا فترة أخرى.»

«مادام ذلك يناسبك.»

فهزت كتفيها: «شيء كهذا.»

«وإذا قلت لك انني لا أحبك؟»

«إذن لصدقتك.»

ضحك ولكن دون بهجة: «اتعرفين ما هو الحب، يا ليزا؟»

قالت بارتياب: «وهل تعرفه انت يا كين؟»

لوى شفتيه ساخراً: «لا اظن ذلك.»

فكرت هي بسخرية مرة بأن ظنه هذا صحيح، وانها ضعيفة غبية في قبولها قضاء العطلة معه، ولكنها غير نادمة، في الحقيقة، فقد قررت الآن ان هذا هو الوقت المناسب لكي تعرف وضعها في نفسه.

سألته: «اذا كان عليك ان تختار بيني وبين عملك، فماذا تختار، يا كين؟»

هز كتفيه: «هذا مجرد افتراض لن يحصل أبداً.» انه الرجل الواقعي ابداً، كما أخذت تفكر، والذي لا مكان للعاطفة في نفسه، ومن العجيب حقاً ان فكر في شراء باقة بنفسج لها، واصرت على سؤالها تريد الجواب: «ماذا كنت تختار؟»

«في هذه اللحظة؟»

قالت: «نعم.»

«في هذه اللحظة بالذات؟»

«نعم، الآن.»

لم يبد عليه أثر للتردد أو عدم التأكد وهو يقول: «انني اختار العمل.» انه صادق تماماً، وفي غاية القسوة، كين

هذا، وكانت هي تعلم ذلك بالطبع، ولكن هذا لم يمنع الجرح من ان يصيبها في الصميم، سألته متظاهرة بمجرد الفضول:

«هل هنالك سبب معين؟»

«أهذا كل شيء؟»

قال بعنف: «انك اخبرتني هذا الصباح بأنك ستتركينني.»

حدقت ليزا به وقد تملكها الذهول لتغيره المفاجيء هذا، وقالت تدافع عن نفسها: «كان هذا فقط لأنك على ما انت عليه.»

«وما هذا؟»

«عدم الاهتمام أو الرضا بأي شيء ما عدا رغباتك الخاصة.»

رفع حاجبه بسخرية متغطرسة: «ما اسخف هذا.»

قالت بحدة: «هذا ليس سخيفاً، وهو لا يحتاج إلى سوى لفتات بسيطة...»

فقال هازئاً: «اتصال هاتفي مثلاً...»

قالت بغضب: «بالضبط.»

فلمعت عيناه بسخرية مرة: «وإحضار أزهار لك؟»

«كل هذا ذو فائدة.» قالت ذلك بغضب وقد تملكها الاستياء من رفضه اشياء تعني لها الكثير.

«وهل تسمين ذلك حباً، يا ليزا؟» وكان عدم التصديق يغلف النبرة الخطرة في صوته المنخفض.

لكن ثقتها القوية فيما تعتقده، لم تدع مجالاً للشك: «ان لفتات بسيطة كهذه تظهر انك لا تفكر في نفسك طوال الوقت، انها تظهر اهتمامك بي، ومن دون الاهتمام، ليس هناك حب.»

بدت القسوة في أساريره: «ماذا تريدينني أن أفعل؟ ان احضر اليك فنجان قهوة إلى السرير كل صباح؟»

«تلك فكرة رائعة.»

«إذا كنت تريدين هذا النوع من الرعاية الطفولية التي تعامل بها شقيقتي زوجها، فالأفضل أن تبحثي عنها في مكان آخر، فهذه ليست فكرتي عن الحب.»

قالت ساخرة: «انني اعلم هذا، يا كين، فأنت لا تتنازل عن شيء.»

لمعت عيناه السوداوان، وقال بجمود: «أرى انها ستكون عطلة مميزة.»

فقالت: «وهذا هو رأيي أنا أيضاً، ربما الأفضل ان اذهب الآن... ما دمت قد ارتحت الآن.»

أطلق ضحكة قصيرة خشنة: «انك تظنين هذا، أليس كذلك يا ليزا؟ تظنين ان كل ما أريده منك هو إرضاء رغباتي الحسية، اتظنين ان هذا ما يحملني على العودة اليك؟»

نعم، هذا ما كانت تظنه، ولكنه كان من الإذلال لها بحيث لم تكن تستطيع الاعتراف به، وحول عنف مشاعرها الحب في نفسها إلى كراهية.

قال بصوت ناعم: «دعيني اخبرك يا ليزا بأن ليس جسد الأنثى ما يعلقني بها، أو يجعلني أعود اليها على الدوام، مهما كان مبلغ جمالها، وأنت جميلة جداً وفيك من الأنوثة ما يحلم به كل رجل.»

سألته وهي ترتجف: «وما الذي يعيدك إليّ دوماً إذن؟»

قال هازئاً: «وهل تصدقين... انها طبيعتك الحلوة المعطاء؟»

فقالت تفسر كلامه بمرارة: «اتعني انني اخضع لك على الدوام؟»

توترت ملامحه وكأنها صفعته: «انني لم ولن اعتبر المرأة مجرد موضوع للترفيه، فقد شفيت من رغبات الجسد منذ وقت طويل.»

قال ذلك بمرارة بالغة ما جعلها غاية في تشتت الذهن.

استدار متجهاً نحو الباب، فهتفت به وقد جعلها نبذه لها في برودة الثلج. «إلى اين انت ذاهب؟»

سألته ذلك ناسية كل كلامه لها ما عدا انه يفضل عمله عليها.

ولكنه قال دون عناء النظر اليها: «لأحضر بعض الطعام.»

تنهدت ليزا لهذا الجواب الذي لم يعجبها: «اظنك تريدني ان اطهي لك شيئاً.»

فالتفتت اليها وقد توترت ملامحه وبدت السخرية في عينيه العنيفتين: «كنت اظن حسب تعريفك، ان هذا عمل شخص يحب.»

فقالت تنكر عليه سلطته تلك عليها: «لم اقل قط انني احبك.»

قال متهكماً: «هذا ما أراه، ولهذا سأطهي طعامي بنفسي.»

زمجرت في أثره وهو يسير نحو الباب: «ان طبعك لا يطاق.»

وقف وألقى عليها نظرة ملتهبة. «ولكننا متلائمان في شيء واحد، أليس كذلك يا ليزا؟»

ثم خرج من المطبخ.

نهضت ليزا عدة دقائق وهي تغلي من الغيظ وقد تملكها السخط لطباع كين ماريوت الصعبة، فهو يصر على انها ليست مجرد موضوع تسلية له، ثم لا يلبث ان يذكرها بجمال ما يجمع بينهما، كان رجلاً غامضاً يثير الأعصاب ولن تفهمه أبداً طوال حياتها. ومع ابتداء تحطم علاقتهما هذه، فإن هذه العطلة ستكون سيئة للغاية.

الفصل الخامس

عبست ليزا في صورتها في مرآة خزانة الثياب التي امامها، لقد قال لها كين انها جميلة جداً وبالغة الأنوثة ولوت شفتيها. من المؤكد انها لا تبدو صبيانية الشكل، وتساءلت عما إذا كان كين يكلف نفسه عناء إلقاء نظرة عليها لو انها لم تكن جميلة.

أخذت تجيل نظراتها في غرفة النوم هذه، كانت الملآت ولكياس الوسائد من قماش الساتين احمر اللون. اما اللحاف فكانت الوانه مختلطة ما بين الأخضر البحري والأصفر والبنفسجي والقرمزي والأزرق... ثم الأحمر، وكانت السجادة ملائمة لذلك جداً بلونها الأخضر القاتم، كما كان التلفزيون أسود اللون.

وتأوهت ليزا، هناك شيء واحد يمكن ان يقال بالنسبة إلى كين، وهو انه ليس من صفاته الضعف أو التردد أو انعدام الحيوية. خصوصاً عند صنع قراراته، ولا في ذوقه في ديكور المنزل، فحيويته تلمس كل شيء، وعلى ليزا ان تعترف بأنها في وجوده، تشعر بالحيوية أكثر من أي وقت آخر في حياتها، أو مع أي شخص آخر، وتناولت معطفها المنزلي الحريري الليلكي اللون تضعه على جسمها، ومن ثم خرجت من الغرفة.

لم يسمعها تهبط السلم، فالسجادة السميكة كانت تمتص صوت وقع خطواتها، وقفت ليزا عند العتبة بين المطبخ

وغرفة الطعام واخذت تراقبه، محاولة ان تكتشف شخصيته الحقيقية.

صفق باب الثلاجة بعد ان اخرج منها بعض اللحم المثلج وألقى به على الحوض، ثم اتبعه بشيء من الخضر والبصل، ثم اقفل درج الثلاجة برفسة من قدمه وكذلك باب الثلاجة ليلقي بعد ذلك بالخضر في الحوض أيضاً، فقد كان من عادة كين تقشير البصل تحت الماء المتدفق.

كانت كل حركة منه تشير إلى توتره. لم تكن الأمور تسير على ما يرام اثناء عطلة الأسبوع هذه. وكان واضحاً انه يرغب في عودة حلوته الناعمة الرقيقة ليزا، وليست هذه المرأة السليطة اللسان والتي كانت تفسد كل شيء.

كان يبدو متعباً للغاية، فقد كانت عيناه غائرتين، كما كان الخطان حول فمه أعمق من العادة، كان عمل كين شاقاً مجهداً، فقد كان يدير اعماله وحده تقريباً، ولا شك ان الأسابيع الثلاثة الأخيرة كانت ثقيلة عليه، لا بد انه لا يشعر برغبة في الطهي والذي يدفعه إليه إما الجوع الشديد أو الكبرياء، أو ليتباهى بذلك امامها، أو الثلاثة اسباب معاً.

سألها دون اكتراث: «هل يكفي اللحم، أم اصنع لك شيئاً آخر؟»

لم تستطع ان تحتمل مثل هذا الوضع، ربما عليها ان تذهب الآن... ولكنها كانت وعدته بأن تمضي معه العطلة الأسبوعية.

قالت له: «لماذا لا نذهب إلى مطعم ليشيو؟ فهو قريب من هنا، وأنت دوماً تحب الطعام الذي يقدمه.»

كان هذا المطعم الايطالي مفضلاً لديه. ربما بإمكانهما

ان يسترخيا هناك امام وجبة فاخرة، وقد يريحهما المشي في برودة الليل من هذا التوتر المسيطر عليهما. شعرت بالإرتياح وهي ترى موافقة كين على ذلك.

قال وقد رقت ملامحه بابتسامة أسف: «لا يبدو ان بإمكاني تهدئة طباعي، هذا النهار.»

فابتسمت: «لقد كنت أنا أيضاً متوترة الطباع.» قالت ذلك معتذرة، تريد ان تنهي هذا الوضع بينهما، والذي لا يفيد بشيء، فكين هو كين وهو لن يتغير تبعاً لإرادتها. وقد سبق وقال ذلك بوضوح.

تقدم نحوها باسماً: «أهي هدنة؟»

فأجابت: «نعم، هدنة.»

أخذ ينظر في عينيها متفحصاً، متسائلاً، ثم استدار يتناول سماعة الهاتف: «سأتصل بالمطعم لأرى ان كانت لديه موائد خالية.»

قالت بعدم اكتراث: «كما تشاء.»

ووقعت نظراتها على باقة البنفسج التي كانت وضعتها على الحوض، وكانت قد ملأت الزهرية بالماء، ولكن جدالها مع كين ألهاها عن وضع الأزهار فيها. وبينما كان هو يتكلم في الهاتف، كانت هي تتجه نحو هذه الأزهار لتكمل ما كانت بدأت به.

شعرت بأن كين يستدير لينظر اليها، ولكنها لم تهتم باستصغاره لهذه الهدية من الأزهار، فقد احبتها للغاية، ورفعتها بحركة آلية، إلى انفها تتشممها مرة أخرى قبل ان تضعها بعناية في الزهرية، انها تحب ان تعتبرها دليل حب منه لها، ربما كانت هذه حماقة منها، ولكن ما الضرر في

قليل من خداع النفس اثناء هذه العطلة الأسبوعية الأخيرة في علاقتهما؟ سيكون عليها ان تواجه الحقيقة في الوقت المناسب، افلا يمكن أن يكون هناك شيء من الحلاوة في تلك المرارة؟

سمعت كين يضع السماعة، فنظرت اليه مستطلعة، وكان هو ينظر اليها وقد بدا الهزء في ملامحه، وكأنه يفكر متأملاً في شيء لم يفكر فيه قط من قبل.

سألته: «هل كل شيء على مايرام؟»

«نعم... انهم سيحجزون مائدة لنا.» وأومأ برأسه نحو الأزهار يسألها: «هل تسرك هذه الأزهار حقاً، يا ليزا؟»

«ألا تظن ذلك، يا كين؟»

فهز كتفيه: «لا اظنني أميل إلى التفكير في مثل هذه الأشياء، انني أراه... مصطنعاً.»

«لماذا؟»

فقال بخشونة: «لم يفعل احد شيئاً قط لأجلي دون ثمن.»

مسكين كين. فهو ما كان محباً ولا محبوباً، (لم يفعل احد شيئاً قط لأجلي)، لقد كان الناس يرفعون ابصارهم إليه، فيرون النجاح الذي احرزه دون ان يدركوا كم كلفه هذا الفراغ المر المظلم في روحه، عزلته عن باقي الإنسانية، كان بحاجة إلى شخص يحبه... يحبه لنفسه وليس لمركزه ولا لثرائه. ذلك لأنه كان غلاماً غير مرغوب فيه ولا يحبه احد، فتقدمت نحوه تلقائياً محاولة ان تفهم.

لقد أدركت فجأة السبب الذي يجعله يبخل عليها بباقة أزهار، فقد كان يعتبر ان من الخداع ان يحاول شراء العطف والمودة، لقد منحتها المكاشفة رؤيا ثمينة في نوع تفكير

كين بالناس، كما انها تزعزع عدة اشياء مما كان يثير استياءها.

حاولت ان تفسر له الأمر، بقولها: «انه ليس الثمن وإنما هو التفكير.» كانت تريده ان يفهم، يدرك انه لم يحصل على مثال من حياة أسرية مليئة بالمحبة والرعاية مثل التي تحتل تفكيرها.

خطر ببالها انها لابد قد كان افسدها تدليل والديها واخوتها لها... بصفتها الابنة الوحيدة، والأخت الصغرى، وقد افتقدت هذا كله في كين إلى حد آلمها، ودفعتها كرامتها إلى ان تمنع عنه ما منع عنها، وها هي ذي تدرك الآن مبلغ خطأها لم يكن هو يعرف الأسباب ولكنها هي كانت تعرف.

تابعت تقول برقة: «ليس عليك ان تشتري أي شيء يا كين، فإذا انت أوقفت سيارتك إلى جانب الطريق، لتقطف بعض الأزهار البرية لأجلي ظناً منك انها قد تعجبني، فهي تسرني. فهذا يريني انك تهتم بي.»

والتوت شفتاها ساخرة: «ان ثلاثة اسابيع من الصمت أرتني انك لا تهتم بي. أو على الأقل هذا كان معنى ذلك في رأيي.» وتوسلت اليه عيناها ان يقول الحقيقة. «فهل انا مخطئة في ذلك، يا كين؟»

لم يجبها بضيق هذه المرة وإنما بقي عدة دقائق يفكر في ما قالت، وأخيراً قال معترفاً كما لم يقر من قبل: «انني افكر فيك يا ليزا، واكثر مما أريد.»

هذا شيء آخر يكشفه لها، ومن الواضح انه لم يكن يحب ان يكشف عن ضعفه عن السيطرة على مركزها في حياته، وسألته: «هل الأمر مؤلم إلى هذا الحد؟»

«قد يصل إلى هذا الحد.»

كان في هذا الجواب ما يشير إلى استيائه من دفعه مكرهاً إلى القيام بعمل أكثر من المعتاد لكي يحصل على هذه العطلة الأسبوعية.

«انك لم تتدرب على المحبة، أليس كذلك يا كين؟»

اجاب ساخراً: «ليس كثيراً.»

«لماذا لا تجرب ذلك احياناً؟ ولو من باب التغيير.»

«هذا يدل على الضعف والنقص في الاستقلال الذاتي.»

«وهذا ما لا تطيقه؟»

فابتسم دون بهجة: «لنقل انني احذر من إعطاء أي شخص ما يمكنه من استغلالي.»

كبرياء، استقلال، مناعة... هذا هو كين، ولكن ليس هناك رجل يعيش كجزيرة منفردة تماماً، مهما كان دافعه إلى ذلك، فهناك ذلك القبس من الانسانية في كل انسان، والذي يدفعه إلى الاتصال بالآخرين، لكي يعرف ويفهم ويتلقى العناية ولو من شخص واحد، ربما هي ليزا التي أراد ان يصل إليها، ولكنه لم يستطع تماماً ان يطلق المجال لنفسه، لانه إذا هي خذلته فسيكره نفسه لضعفه في جعلها تتغلب على دفاعاته لوقاية نفسه.

قالت له بهدوء: «انك لا تتنازل عن رأيك كثيراً يا كين.»

«وكذلك انت، يا ليزا.»

اومأت برأسها وهي تفكر بألم، انه هو الذي اقام الحواجز، وهي التي ضربت تلك الحواجز برأسها وقلبها، لقد منحته من نفسها كل شيء، وكان هذا هو السبب في ان صمته الطويل ذاك كان لا يطاق، ولكن من الواضح انه يشعر

بأنها خذلته من بعض النواحي، وفي رأيه انها خذلته فعلاً هذا الصباح حين لم تشأ القبول بخطته.

قالت له: «اظنك تصبح قاسياً... حين يكون عليك ان تحارب القساوة.»

وانحدرت نظراتها عن وجهه لتستقرا على الأزهار مرة أخرى، كانت هذه برهاناً على انه فكر فيها في المطار بعد ان رأى منها عدم الجزم بالنسبة إلى موافاته لعطلة الأسبوع، وحسب اعتقاده، كان شراؤها من باب السخرية لكي يراضيها، ولكنه على الأقل لم يكن ساخراً إلى الحد الذي يجعله يشتري لها وروداً حمراء، رمز الحب، لم يكن مخادعاً إلى هذه الدرجة، ولكنه كان من القسوة بحيث يفعل ما يفكر فيه، لكي يحصل على ما يريد، وكان مايزال يريدها، ويبدو ان العنف قد تملكه عندما هددته بتركه.

«هل يعجبك ان أريك نوع تفكيري بك عندما كنت في فيكتوريا؟»

نظرت إليه بارتياب: «وكيف ستفعل ذلك، يا كين؟»

كان في عينيه عزم بالغ، ما جعل لدى ليزا انطباعاً بأن كين قد قرر ان يجرب حظه، ولكنه كان صلباً إزاء اي نتيجة سلبية.

لم يجب على سؤالها، وإنما سار نحو حقائبه التي كان وضعها بجانب الجدار، ثم تناول حقيبة اوراقه قائلاً: «انتظريني هنا.»

كان قد ترك المفاتيح في الطابق العلوي، بالطبع، فقالت له: «سآتي معك.»

نظر إليها ساخراً: «عديمة الصبر؟»

«بل عملية.»

فهز كتفيه: «كما تشائين.»

«ان عليّ ان ارتدي ثيابي إذا كنا سنخرج لتناول الطعام.»

«هذا صحيح.»

لم تكن في الحقيقة تتوقع منه شيئاً، وكونه توجه إلى حقيبة اوراقه، يعني ان ثمة شيئاً في ذهنه يتعلق بعمله من ناحية ما، وربما كان فكر في شيء يمكنه مراضاتها به، ورأت ليزا أنه على الأقل كان يحاول وفي هذا شيء من التغيير، رغم ان هذا لم يكن من طبيعته.

في غرفة نومها اخذت ليزا تلتقط ملابسها من على الأرض، دون ان تهتم بما كان كين يفعل، فقد كان توقعها أي شيء من كين ماريوت مجرد أوهام.

«ليزا؟»

نظرت عند سماعها لهجته النافدة الصبر وهو يسألها: «ألا تريدين أن تري؟»

«قلت انك ستريني.»

«وهذا ما فعلت، دعي ما بيدك واستديري مواجهة المرآة، ثم ارفعي شعرك.»

نظرت اليه مقطبة الجبين وقد تشوش ذهنها إزاء هذه التعليمات، وما لبثت ان امتثلت لما طلبه منها، مفكرة في أنه لا بد اشترى لها عقداً، أو ما أشبه، وقد يكون سلسلة ذهبية.

ولكن ما وضعه حول عنقها لم يكن شيئاً يمكن ان تتوقع من كين ان يختاره، كان عبارة عن سلسلة ذهبية يتدلى منها حجر كريم ارجواني اللون محاط باللآلىء، وذلك بشكل بديع

قديم الطراز، لم يكن متألقاً أو مبهرجاً بشكل واضح ملفت للنظر، ولكنه كان رائعاً وانثوياً بالغ الرقة.

قال لها: «يمكنك ان تدعي شعرك ينسدل.»

انزلت ذراعها غير مصدقة وقد افعم قلبها سروراً.

قال لها: «لقد نظرت إليه في واجهة المتجر ثم خطرت انت ببالي. انما لا تسأليني لماذا، فقد شعرت بأن عليّ ان اشتريه لك، وهكذا فعلت.»

ثم نظر في عينيها في المرآة ليرى تأثير ذلك عليها ثم سألها بخشونة: «هل اعجبك، يا ليزا؟»

فاغرورقت عيناها بالدموع دون إرادة منها، وخنقتها غصة فلم تستطع ان تتكلم، الأزهار أولاً، والآن هذه... كانت هذه غير عادية... وقد اختارها لها خصيصاً لأنها كانت تعبر عن طريقة تفكيره فيها... كم كانت مخطئة، مخطئة إلى حد فظيع، ومخطئة إلى حد رائع لأن كين ربما كان يحبها بطريقته الخاصة.

وتدفقت دموعها من بين اهدابها الكثيفة، عضت شفتها محاولة ان تبتلع ريقها، بينما الدموع تستمر في التدفق على وجنتيها وهي تحدّق في كين الذي تملكته الدهشة، «ليزا؟» لم تستطع ان ترى وجهه جيداً من خلال دموعها، ولكنها سمعت صوته المتوتر غير الواثق. «لماذا تبكين، يا ليزا؟»

لم تبك قط من قبل، وخصوصاً امام كين، مهما كان الألم الذي كانت تشعر به احياناً، لقد كانت كرامتها ترغمها على الظهور بمظهر القوة والصلابة، لأنه هو كان قوياً، ولكن هديته هذه ورقته أوهنتا منها العزيمة، لتنطلق الحقيقة من بين شفتيها: «كنت اظن... كنت اظن انك ترفع في شأني

وتحطمني حسبما يلائمك ذلك، وانك لا تفكر بي عندما لا نكون معاً.»

لم يقل شيئاً... بماذا كان يفكر؟ لم يكن لديها فكرة، ولكن هذا لم يبد لها مهماً.

وأخيراً هدأت مشاعرها فنظرت اليه، بدا وجهه عابساً فبادلها النظرات وقد بدا الإنزعاج في عينيه، وتساءلت هي عما إذا كانت أثارت في نفسه شعوراً غير مرغوب فيه. لم يكن يريدها ان تخطىء في شيء.

اندفعت تقول: «أنا آسفة. شكراً يا كين.» لم تكن تريده ان يشعر بالأسى في الوقت الذي جعلها تشعر فيه بالسعادة.

تنهد قائلاً: «اننا بحاجة إلى طعام دون شك.»

وبعد حوالي ساعة، كانا ينطلقان إلى المطعم. وكانت هي طوال الطريق تتلمس السلسلة في عنقها، كان الوقت منتصف الشتاء، وكان هواء الليل قارساً بالنسبة لدفء الشقة، ولكنه جعل أحاسيس ليزا نابضة بالحياة.

كانت ليلة رائعة الجمال، قد سطعت النجوم في السماء، والنسائم تحرك اوراق الشجر على طول الطريق. وكين بجانبها، وبعد، فهذه العطلة الأسبوعية لن تكون مزعجة، كما كانت تظن وإنما اجمل عطلة في حياتها.

الفصل السادس

كان مطعم لوسيو منزلاً قائماً على مرتفع، قد جدد لكي يناسب احتياجات المطعم، كان فيه قاعتا طعام، وأثناء فصل الصيف تصبح ثلاثاً، وذلك باستعمال الحديقة الخلفية، أما الديكور فكان متواضعاً، وكان اللون الوردي مسبغاً على الجدران واغطية الموائد وستائر النوافذ المشرفة على الشارع. كانت الأنغام الموسيقية تتجاوب في أنحاء المكان، وكان الندل ودودين، بالغي العناية. والخدمة ممتازة، وكذلك الطعام، وكان المكان بجملته ساراً للغاية.

إستقبل النادل كين وليزا عند الباب ثم رافقهما إلى المائدة الوحيدة الخالية في القاعة الأمامية. وعندما جلسا، توقفت الأحاديث التي كانت تدور بين الزبائن، فقد كان كين معروفاً في هذه المنطقة حيث انه كان قد اقام منشآت عديدة لمشاريع عامة، وكان دوماً يجتذب انظار النساء، بينما كان الرجال ينظرون إليه بفضول مزيج بالحسد والاحترام.

لم يبد على كين انه تأثر بكل هذا، اما ليزا فقد كانت تعي دوماً نظرات النساء اليه، كان ذلك في البداية يجعلها تشعر بعدم الاطمئنان وكان هذا يساهم في جعلها تخضع لقواعد كين، لأنها كانت تخاف دوماً من انها إذا لم يكن راضياً عنها، فهناك نساء أخريات يتلهفن إلى احتلال مكانها، وهكذا كما ادركت ليزا، كان هذا هو السبب في مشكلاتها مع

كين، والتي كانت تختزنها في اعماقها إلى أن طفح منها الكيل هذه العطلة الأسبوعية.

كان ذلك قد سبب عدة مواجهات بينهما، ولكنها كانت دوماً هي التي تتراجع، متنازلة عن مطالبها بدلاً من فرضها بالقوة. ذلك انها اذا أرادت استمرار علاقتهما، لم يكن امامها خيار آخر، اذ ان كين ماريوت لم يكن يعرف الإنحناء، ولا كان من الممكن إقناعه، فقد قرر وانتهى الأمر.

حتى هذا النهار. كان ثمة شيء مختلف، انها تشعر به في دمها، لم يكن هذا يعني ان كين كان أقل حزماً وقساوة وإنما كان ببساطة يقرر أموراً لم تكن تنتظرها منه مطلقاً، ذلك انه اليوم، فقط وبوضوح تام، اخبرها بأن ليس ثمة امرأة أخرى في حياته، وقد أثبت ذلك لها بطريقته الخاصة، ما جعل ليزا تعترف اخيراً انه ليس صياد نساء، وفي الواقع حسب ما تتذكره، لم ينظر إلى امرأة أخرى منذ تعرف اليها.

حتى الآن بالنسبة إليه، كانت ليزا هي المرأة الوحيدة في المطعم، كان جالساً امامها، وعدا عن نقاشه مع النادل في انواع الطعام، كان كل اهتمامه منصرفاً اليها، كانت عيناه دائمة التحديق في وجهها، وفمه على استعداد للابتسام لكل ما تقوله، وكان السرور مرتسماً على ملامحه لجلوسه معها، وكانت هي تشعر بوجهها يتوهج سعادة.

كان الطعام لذيذاً كالعادة، دهشت ليزا وهي ترى شهيتها كبيرة للغاية، وقد مضى وقت طويل منذ تناولت الغداء، لكنها لم تكن تشعر بالجوع على الاطلاق، واخيراً قررت ان ذلك نتيجة استهلاك طاقتها هذا النهار.

سألته: «كيف تجد الطعام في فيكتوريا؟»

«لم أنتبه، كان طعاماً، وهذا كل شيء.»

يعني انه كان وقوداً يساعده على الاستمرار حياً، فقد كان العمل هو همه الوحيد، وبإمكان ليزا ان تتصوره غير منتبه إلى أي شيء آخر.

«هل انتهت المشاكل الرئيسية الآن في ناحية البناء؟»

«لقد انتهى الأسوأ، واجتياز الأزمة سيستغرق بعض الوقت، ثمة كثير من الناس يريدون تسوية الأمور، وهذه ليست هي الطريقة لإنجاز الأشياء.»

كانت تعلم انها ليست طريقة كين، ولكنها أيضاً ليست طريقة احد، إذا كان يبغي النجاح، وكانت ليزا تقدر ذلك من خلال اتصالها اليومي بجاك كونواي.

المشكلة مع كين كانت في نقل هموم عمله إلى حياته الخاصة، ومن ناحية أخرى، كما رأت ليزا، ربما ذلك النوع من هذه المقدرة جاءت فقط من رجل قد تأصل هذا في طبيعته.

اخذت تتساءل كيف يسير جاك كونواي في حياته الخاصة، كل ما كانت تعرفه هو انه استمر مع نفس المرأة ثلاثين عاماً، ولكنها كانت واثقة على كل حال من أنه إذا كان يعبث مع النساء، فهو لم يكن ليغامر بما له الأولوية عنده، وقد سمعته مرة في جدال يقول ان الطلاق هو غباء، وتصورت ليزا ان كين ربما يفكر بنفس الطريقة، فالإعتبارات المالية تحكم دوماً عالم كين.

لكن ليزا عادت تذكر نفسها بسرعة بأن هذا ليس الاعتبار الوحيد لدى كين ماريوت، فثمة اسباب كثيرة لديه للاحتفاظ بمسيرة الحياة الزوجية، عدا عن مجرد الرغبة في صيانة

ماله، فقد كان كين انتاج زواج محطم، فهو يكره الطلاق بمرارة، وما اصبح عليه الآن لم يكن سوى نتيجة لما كان حصل بين والديه، وكانت ليزا واثقة من ذلك.

ومع انه لم يأت قط على سيرة حياته بالتفصيل، إلا ان تعليقاته اللاذعة التي كانت تصدر عنه من حين لآخر، جعلتها تتكهن بالمأساة التي سارت بها حياته، وحياة شقيقته، ولا شك ان كين ما كان ليفرض ذلك النوع من العذاب العقلي والعاطفي على أولاده عندما يتزوج، ذلك ان التزامه هو بقساوة الصخر.

وتمنت لو يتحدث بوضوح عن حياته، سألها كين فجأة والفضول يظهر من عينيه: «بماذا تفكرين؟»

قالت متأملة: «ان بعض الرجال اكثر جاذبية من غيرهم، ولكنني اتفق معك، لكن... ليس هذا ما يجعل الرجل يتشبث بالمرأة.»

سألها برقة: «ما الذي يجعلك تتشبثين بي يا ليزا؟»

فأجفلت لهذا السؤال المباشر، ليس من عادة كين ان يجس مشاعر الآخرين، رغم انه قد قام بذلك هذه الليلة عندما تطرق إلى موضوع الحب، وفكرت في الأمر عدة لحظات، ثم سألته: «أتريد الحقيقة؟»

«نعم.»

فتنهدت، وبسطت يديها وكأنها تعتذر عن عدم تمكنها من ابداء الأسباب: «اظن اقرب تفسير يمكنني اعطاؤه هو انني اشعر بكل ما حولي يتوقد، عندما اكون معك، فالحياة اكثر إشراقاً وتألقاً، وبهجة...» لوت شفتيها وهي تتابع: «وعندما تكون بعيداً عني اشعر بأنني شبه حية.»

قطب جبينه وهو يومىء برأسه مفكراً، ثم القى عليها نظرة تفهم: «هذا إذن، السبب في انك تريدينني ان اتصل بك هاتفياً، لكي تستمري في الشعور بأنك ما زلت على قيد الحياة، أليس كذلك؟»

«هذا أحد الأسباب.»

فقال: «سافعل ذلك في المستقبل يا ليزا.»

حركت رأسها غير مصدقة. هل يقرر ذلك بهذه السهولة؟ ثم عادت فأدركت ان كين قد غير رأيه في ما تحتاج إليه، ولم يعد يظن انها تريده العوبة بين يديها.

سألته وهي تتساءل عما إذا كان سيدلي بسبب آخر غير ما سبق وقاله (بأنهما متلائمان) سألته قائلة: «وما الذي يجعلك تتشبث بي؟» منحها ابتسامته الملتوية: «اظن الأمر مشابهاً.» ثم تلاشت ابتسامته، وازدحمت المشاعر في عينيه، ثم قال برقة: «انني اريدك ان تبقي معي، يا ليزا، فما هو رأيك؟»

تبقى معه لمجرد التسلية اثناء العطلات الأسبوعية؟ هذا بالاضافة إلى المكالمات الهاتفية التي وعدها بها؟ وامتلأ قلبها بمزيج من الأمل واليأس. كانت تريد من كين أكثر مما اعطاها بكثير، ولكنه قد ابتدأ يعطي. ومع مزيد من الوقت والتفهم بينهما، ربما يصبح بإمكانهما ان يصلا إلى نوع من المشاركة التي تعني استجابة كل منهما لمطالب الآخر.

«لا أدري بالدقة ماذا تعني، يا كين. ما الذي يدور في ذهنك؟ ما الذي تتطلع إليه؟»

«الزواج.»

سرقت هذه الكلمة انفاس ليزا وهزتها هزاً، فنظرت إليه ذاهلة، هل هو جاد في كلامه؟

نظر اليها كان وجهه رزيناً وعيناه لا يمكن سبر غورهما وهو ينظر في عينيها: «انني اطلب منك ان تتزوجيني يا ليزا.»

قالت وقد جف فمها: «لا يمكن ان تكون جاداً.» كان جسدها يرتجف كأوراق الخريف، أتراه من القسوة بحيث يعرض عليها هذا الأمر لكي تستمر علاقتهما فترة بعد هذه العطلة الأسبوعية؟ وقال: «بل أنا جاد.»

غصت بريقها وهي ترغم نفسها على القول بسخرية: «بعد كل ما كان بيننا هذا النهار؟»

«وما أهمية ذلك؟»

«ظننته مهماً للغاية.»

«انه لا يهم مثقال ذرة.»

«بل اظنه مهماً.»

حدّق في عينيها بعنف: «اننا مازلنا معاً، أليس كذلك؟ أنا وأنت يا ليزا وعلى الدوام.»

تمتمت تقول وقد كف قلبها عن الخفقان: «انا... انا لا ادري ما عليّ ان اقول.»

قال بلهجة آمرة: «لا تفكري، بل قولي: نعم، يا كين، سأتزوجك...»

ولكن الأمر لم يكن سهلاً بهذا الشكل. ووجدت ليزا ان من الصعب استيعابه، وخطر ببالها فجأة ان هذا هو سبب حضوره هذه العطلة، وسبب اهميتها، ولماذا كانت مختلفة عن غيرها، ولماذا قام بكل ما قام به من اشياء لم تكن تتوقعها، ولماذا كان متوتراً بهذا الشكل، وغاضباً ومنزعجاً لتصرفاتها.

كان كل شيء يمهد لعرض الزواج، فقد كان سبق وقرر ذلك، وإذا بها تفسد كل شيء وذلك بعدم تجاوبها معه، حسب عادتها، الزواج!

بقي الذهول مسيطراً على ذهنها، ما جعل أي تفكير عقلاني، مستحيلاً، قال قلبها: نعم، وقال عقلها... انتظري.

لقد سبب لها قلبها كثيراً من الوحدة والألم مع كين ماريوت.

توسل اليها قلبها بأن كين كان يتغير، ويقوم بتنازلات، ويرعاها، لقد هتف بها ان تلقي بالحذر جانباً، وتتقدم نحو المجهول، وان تكون شجاعة، وتتمسك بهذه الفرصة التي تجعلها تحقق كل ما تريده مع هذا الرجل.

اما عقلها فيقول انهما بحاجة إلى قضاء مزيد من الوقت معاً قبل ان يتخذا التزاماً حياتياً كهذا، مزيداً من الوقت لكي يتأكدا من أنهما على صواب، ومن اعماقها المضطربة، سألته: «لماذا؟»

ذلك ان كين لم يفعل شيئاً قط دون سبب، فهناك دوماً سبب، فما هو السبب الذي يجعله يتزوجها، إذن؟ ولماذا قرر هذا فجأة بعد ان بقيت علاقتهما سنة كاملة؟ وهل قرر هذا اثناء هذه العطلة الاسبوعية ام قبلها؟

اجابها دون تردد: «اريدك زوجة لي، اريد ان يكون لي أولاد منك، أريدك بجانبي بقية حياتنا.»

هكذا بكل هذه البساطة والوضوح، تم الاختيار، وصدر القرار.

(لدي رؤيا لما أريده) كانت هذه هي الكلمات التي كان كين قالها في السيارة عندما سألته ان كان لديه خطة لقضاء هذه العطلة الأسبوعية، وكانت ظنت حينذاك، انه يشير بها

إلى اعماله، ولكنها في الحقيقة، ما كان في ذهنه، ألا وهو الزواج بها، وتساءلت عما اذا كان قد حدد مسبقاً تاريخ تنفيذ قراره هذا.

سألته: «اظن لديك فكرة عن الوقت الذي سيجري فيه هذا الزواج؟»

أجاب بلهجة الأمر الواقع: «مدة أسبوع أو نحوها.»

كان يعني بهذا مكتب تسجيل الزواج دون أية اضافات بطبيعة الحال، ودون استشارتها عما قد ترغب فيه بالنسبة لحفلة الزفاف أو ما أشبه.»

قالت: «كلا.»

بدت عليه المفاجأة، وسألها: «ما الذي تعنينه بهذا؟»

قالت بحزم: «اعني انني اذا قررت الزواج منك، وهذا لا يعني انه أمر مؤكد، فهو بالتأكيد، لن يتم خلال أسبوع.»

«اعطني سبباً جيداً لعدم امكانية ذلك.» كل ما كانت ليزا تختزنه من استياء لتصرفات كين تجاهها، قد طفا إلى السطح مرة أخرى، فقالت عابسة: «لأنني اقول هذا.»

فقال عابساً هو أيضاً: «هذا ليس سبباً.»

«عفواً يا سيدي...» وكان هذا النادل قد جاء محضراً النوع الأول مما طلباه، وضع طبقها امامها، ثم وضع ما طلبه كين لنفسه من الكافيار والقريدس امام كين، واثناء ذلك كانت ليزا قد تمالكت نفسها، متذكرة ان كين ربما لم يقصد ان يجرحها، فهو قد ظن ان طريقته معقولة للغاية.

ابتعد النادل، وكان كين قد أرغم نفسه اثناء ذلك على الإسترخاء فقال بلهجة هادئة: «ما هو الاعتراض الذي لديك، يا ليزا؟»

بدا الحذر في عينيها: «إذا نحن تزوجنا يا كين فأنا من يقرر الموعد ويرتب أمر الزفاف.»

رقت ملامحه وقال بأسف: «كنت اظنك مثلي، تتعجلين الأمر قدر الأمكان.»

لم تكن ليزا تستطيع ان تتصور ان ثمة امرأة لا تريد عرساً كبيراً مع كل ملحقاته التي طالما حلمت بها، وهي لن تسمح لكين بأن يخادعها لتترك ذلك، لأنه ليس الطراز الذي يريده، ان عليه ان يبدأ بإدراك ان هناك فروقاً بين النساء والرجال.

«اظنني مندفعاً هذا النهار.»

«هذا صحيح تماماً.» قالت ذلك متأثرة، فقد كان قد سبب لها تشتتاً في المشاعر، ما جعلها تفقد شهيتها للطعام.

«انني آسف.»

فاتسعت عيناها دهشة، هل هذا اعتذار آخر من كين؟ إنه يتغير حقاً، انها لم تسمعه يعتذر قط لأي انسان، قبل اليوم.

فقالت: «وأنا آسفة أيضاً.»

«لماذا؟»

«لأنك لم تفهمني بشكل افضل.»

هذا بينما حدثت نفسها بأنه قد يكون ذنبها قدر ما هو ذنبه، فقد كان عليها ان تثبت شخصيتها اثناء الشهور الماضية، بدلاً من خضوعها وضعفها إزاء كين في السماح له بأن يدير الأمور حسب رغبته.

هز رأسه عدة مرات يزن كلماتها في ذهنه، ثم سألها:

«هل هذا يعني موافقتك على الزواج؟»

«انني افكر فيه.»

كان في تغير معاملة كين لها ما شجعها على التفكير.

أمسكت بالشوكة تتناول بها الطعام شاعرة فجأة بشهيتها تعود اليها، ما يجعلها تستمتع بمذاق الطعام، لقد اخذ الآن قلبها يخفق لعرض كين، بعد ان هدأت الصدمة، ولكن عقلها كان منشغلاً للغاية.

ربما كان كين ماهراً في اللجوء إلى المناورة إزاء أية مواجهة بينما هو مصمم على الفوز، ربما لم يكن يهمه شعورها كثيراً، قدر ما يهمه الوصول إلى ما يريد، وبأي وسيلة، وذكرت نفسها بأنه قد يكون قاسياً في ذلك ولكنه لا يتخلى عن النزاهة، عليها ألا تنسى ذلك، وأخذ قلبها يخفق وهي تفكر في ان كين يريدها معه بقية حياتهما.

سألها وهو يلتهم الطعام بشهية بالغة: «ما الذي تفكرين فيه يا ليزا؟»

ألقت عليه نظرة حادة: «هناك الكثير مثل كيف ستكون بقية حياتي معك.»

أجاب: «انها ستكون بالشكل الذي نصنعها به كغيرها من الأمور، ان هذا يعود إلينا نحن.»

فقالت: «هذا يستوجب التزاماً من الاثنين.»

«ان كوني عرضت عليك الزواج يمثل التزامي.» لم تكن تستطيع المجادلة في هذا، فقد كانت هي الحقيقة، فعندما يقرر كين أمراً، فهو يلتزم به، ولكن الموضوع هو، كم من العطاء هو مستعد لتقديمه لكي ينجح زواجهما؟ فما يرضيه قد لا يرضيها، فقد حدث هذا في الماضي، وهي قد سبق واكتشفت ان حبها له ليس ضماناً للسعادة.

قالت له وقد بدا في صوتها شيء من الاستياء: «انك لم تتعرف إلى أسرتي بعد.»

أجاب بإختصار: «انني لن اتزوجهم هم، بل سأتزوجك انت، دعينا لا نخلط الأمور.»

أصرت بقولها: «انني لن اقاطع اسرتي، يا كين. لا أريدك ان تقول بأن عليّ ألا أهتم بأسرتي لمجرد انك لا تهتم بأسرتك، فإذا شئت ان تتزوجني، عليك ان تقبل فكرة انها جزء من حياتي، وبالتالي ستكون جزءاً من حياتك انت أيضاً.» قطب جبينه فهو لم يفكر في هذا الأمر من قبل.

«إذا كنت تحبين اسرتك إلى هذا الحد...»

فقاطعته ضارعة: «اتريد ان يقاطعنا أولادك عندما يتزوجون؟»

ازداد عبوساً، إذ يبدو ان افكاره لم تصل إلى ذاك الحد، والتوت شفتاه وهو يقول: «كلا، لا أريد ان يحدث ذلك.»

فقالت: «ان أسرتي هي غالية عليّ كذلك.»

قال باقتناع: «لا بأس، سأقابل اسرتك في الوقت الملائم، في هذه العطلة الأسبوعية، إذا شئت، إذا أرادوا ان يتعرفوا عليّ، ولكن عليهم ان يقبلوا بي، كما انا، يا ليزا.»

كان واضحاً انه لا يثق بالأهل ولا بمواقفهم، ومرة أخرى تمنت ليزا لو تعرف المزيد عن نشأته. ولكنها كانت تعلم ان التطرق إلى هذا الموضوع لا جدوى من ورائه.

فقالت بهدوء: «ان والديّ لا يتدخلان مطلقاً في أموري الشخصية، يا كين، انهما سيرحبان بك في الأسرة مهما كان رأيهما بك، إذا انا اخترتك زوجاً.»

بدت القسوة في نظراته «إذا، يا ليزا؟»

بادلته النظر دون ان يطرف لها جفن وهي تقول: «انني لم أقل نعم بعد، يا كين.»

«ولماذا لا تقولينها، إذن؟»

قالت، شاعرة بالتوتر لهذا الإلحاح منه: «ان بيننا اشياء كثيرة غير محلولة بعد، وانا افضل الانتهاء منها قبل الزواج، وليس بعده.»

توترت ملامح كين، ولمعت عيناه بالكبرياء: «كلا، لا أريدك ان تضعيني تحت التجربة، يا ليزا، فأنا لا اريد ان اكون معلقاً، اما ان اكون رجلاً مناسباً لك أو لا اكون.»

فقالت كارهة: «سأفكر في ذلك.»

بدا العزم وعدم اللين على ملامحه وهو يقول: «ليس عليك ان تفكري في هذا الأمر، فإما انك تريدين الزواج مني أو لا تريدين، فإذا كان عليك ان تفكري في هذا الأمر، فلا تقدمي عليه إذن.»

قالت بلهجة العتاب: «ولكن هذا غير منطقي.»

لكنه لم يتزحزح عن موقفه: «قرري الآن يا ليزا.»

إنه كين الحازم الذي لا يرحم، ولكن الحق كان معه، فكل التفكير في العالم لن يغير من الأمر شيئاً، فإذا لم تتزوجه فستندم، دون شك، على ذلك أيضاً طوال حياتها، وبدا لها الاحتمال هذا كئيباً للغاية، وهو ان كل ما ستفعله لن يكون صوباً.

كانت تعلم ان هذه هي آخر عطلة أسبوعية يمضيانها معاً، ولن يكون ثمة استمرار لمثل هذه العلاقة التي كانت بينهما، ولم يكن هذا يعني انها كانت تريد ذلك، فقد كان هذا هو سبب رغبتها في جعل هذه العطلة الأسبوعية النهاية لذلك. ولكنها لم تكن تحلم قط بهذا التطور في كين.

رفعت اليه عينين متشككتين، ثم همست بصعوبة والغصة تخنقها: «هل تحبني، يا كين؟»

نظر إليها، اتراها رأت في عينيه لمحة من ضعف، أم هي تخيلات منها؟ ثم قال برقة: «ليزا، ان بإمكاني ان امنحك من نفسي اكثر مما منحته قط، أو سأمنحه لأي انسان آخر، فهل في هذا جواب لسؤالك؟»

في الواقع، لم يكن هذا جواباً على سؤالها بل على بعض الأسئلة، تاركاً اشياء كثيرة أخرى معلقة في الهواء، وسمعت نفسها تقول: «نعم.» وكانت تفكر في مقدار ضعفها امامه، انها ستكون اكبر حمقاء في العالم إذا هي رضيت بالقليل الذي يقدمه اليها كين، ومع ذلك فقد كان الحق معه وهو يقول: «اذا كان عليك ان تفكري في هذا الأمر، فلا تقدمي عليه إذن.»

وأخيراً كان لقلبها الكلمة الفاصلة، فهي له وستكون له على الدوام مهما خبأ له المستقبل. «هل قلت (نعم) للزواج مني؟»

كان كين يريد ان يتأكد منها نهائياً، وبوضوح تام.

«نعم.»

وهكذا قالتها، خطرت ببالها لحظة كلماتها له في الهاتف، هذا الصباح، ساخرة من هذا القرار الذي اتخذته لتوها، ما الذي صنعته؟

لقد كانت استبدلت بالفراغ القاتم في حياتها غيوماً رمادية قد تكون مبطنة بلون فضي.. هذا ما صنعته، وعندما استقر في ذهنها هذا الجواب، بدد الأمل اليأس في نفسها وخفف من شكوكها.

إسترخى كين في كرسيه وقد لاحت على شفتيه ابتسامة خفيفة، بدا وكأن التوتر والإحباط والإرهاق، كل ذلك قد فارقه، وبدا الانتعاش والنشاط عليه وقد احاطت به هالة من الرضى.

قال برقة: «بقدر ما يمكن من السرعة؟»

وحدثت نفسها عما يمنع ذلك والأمر قد تقرر سواءً كان للأفضل ام للأسوأ، فقالت: «ستة اسابيع هي أقل ما يمكن.»

التوت ابتسامته: «ستة اسابيع، إذن؟ هل معنى ذلك ان اتحمل عناء الانتظار لكي يتم زواجنا؟»

فقالت بإصرار: «وملحقاته أيضاً.»

«ان شروطك صعبة، يا ليزا.»

«وكذلك شروطك، يا كين ماريوت.»

«انها متماثلة إذن.»

تنهدت: «لدي شعور بأننا سنتقاتل على الدوام عند حدود معينة لا ينبغي تجاوزها.»

«آه، ولكنني واثق من اننا سنتفق في نهاية الأمر.» وبدت في عينيه نظرة تفصح عن ان حبهما سيجعل من كل قتال بينهما قصير الأمد.

أشار إلى النادل الذي اقبل على الفور، فأمره برفع الأطباق وإحضار المرطبات، ربما لم تكن ليزا تهدف إلى الرفاهية في حياتها، ولكنها كانت تعلم ان هذا لا يفيدها بشيء إذا لم تكن سعيدة مع كين. ان على زواجهما ان ينجح. اخذت تحدث نفسها بذلك متذكرة قول كين ان نجاح هذا راجع اليهما، فالزواج الناجح يصنعه الزوجان معاً.

قالت تذكره: «هذا راجع إلينا.» وتذكرت ما كان قاله مرة بأنه اختصاصي في قهر الصعاب. انها واثقة الآن من انه لن يدع زواجهما ينهار اذا كان بإمكانه إنقاذه، وجعلها تفكيرها هذا اكثر ثقة في المستقبل.

قال «انا موافق على ان ذلك راجع الينا.»

نظرت اليه، كانت تحب هذا الرجل رغم كل شيء، وفكرت في انه إذا غرق زواجهما... حسناً ليس هناك رجل آخر تفضل ان تغرق معه...

وكان هذا يثبت لها رأيها في مبلغ حماقتها، فبدلاً من ان تتصرف بتعقل وتقطع علاقتها به، هذه العطلة الأسبوعية، إذا بهما يتزوجان. نظرت في عينيه، يساورها امل يائس: «اترانا نحن الاثنين، سننجو من عواقب هذا القرار؟»

فكسا ملامحه عبوس ساخر، وقال: «اشك في هذا ولكنك تعلمين كما اعلم... ان علينا ان نحاول.»

الفصل السابع

مساء الأحد، اوصلت ليزا كين إلى المطار لكي يستقل الطائرة إلى ملبورن، لم يكن قد قابل والديها اثناء هذه العطلة، إذ قررت ليزا ان من الأفضل ان تعدهما لذلك أولاً، وذلك افضل من مفاجأتهما بكل شيء مرة واحدة.

كان ذهنها ما يزال غارقاً في دوامة من عدم التصديق والبعد عن الواقع، لقد كانت في بداية هذه العطلة الأسبوعية، لا تفكر إلا في قطع علاقتها بكين ماريوت. وفي نهايتها كانت قد سلمته نفسها طوال الحياة.

وتساءلت عما إذا كانت النساء جميعاً تمر في مثل هذه المشاعر في فترة الخطوبة، ذلك ان كل امرأة سيكون عليها ان تعلم ان حياتها لن تعود أبداً كما كانت.

ودعها كين بنفس اللهفة والشوق اللذين استقبلها بهما منذ ليلتين، وكأنه كان يريد ان يمتص كل جزء منها، وهو يقول: «من الآن فصاعداً عليك ألا تفكرين في رجل آخر.»

قال ذلك بابتسامة صغيرة جافة، ولكن عينيه كانتا جادتين للغاية.

فقالت: «أنا لا اريد ذلك، يا كين، فقد وعدتك بألا يكون هناك رجل غيرك.»

صعدت ابتسامته إلى عينيه تغمرانها بالحنان. لقد أقسمت ليزا على ألا تمنحه سبباً يجعله يشك في اخلاصها مرة أخرى، فقد كان ما كانت نوهت به عن (رجل آخر) يوم الجمعة الماضية

مازال في باله، وبدا غريباً في نظرها ان رجلاً بالغ الثقة في نفسه مثل كين لم يتخلص بعد من عامل الغيرة التي تملكته لقولها ذاك، ولكنها تكهنت بأنه لا يثق بالآخرين، حتى بها هي.

شعرت بشيء من الكآبة لهذه الفكرة اثناء عودتها إلى شقتها التي تعيش فيها مع شقيقها، لقد قال لها كين ان بإمكانه ان يمنحها من نفسه اكثر مما يمنح أي شخص آخر، ولكن الألم كان يتملكها وهي ترى انعدام ثقته بها، ربما كان هذا نتيجة كونه قاسي كثيراً. ان ما عليها القيام به الآن هو ان تقنع كين بأنها ستقف إلى جانبه مهما كانت الأمور.

كانت شقتها واحدة من شقق كثيرة في مبنى كبير في منطقة بوندي ولا تشبه شقة كين بشيء، وعندما دخلتها في تلك الليلة، نظرت حولها وهي تفكر في انها أشبه بكابوس، لقد كانت هي وشقيقها طوني، قد جمعا قطعاً غريبة من الأثاث واضافا اليها ما كان يعجبهما في اوقات مختلفة، ولم تكن منسجمة متآلفة، ولكنها كانت مريحة.

عندما يكون طوني في البيت تسود الفوضى في المكان بشكل دائم، ولكنه الآن منظم للغاية. ذلك ان ليزا استقلت بالشقة لنفسها لمدة عشرة ايام، إلى حين عودة شقيقها من لندن بعد زيارته القاهرة وسنغافورة. وتمنت لو انه هنا، فقد أرادت ان تشرك احداً في مشاعرها. فقد شعرت بنفسها منفصلة عن كل شيء وبشكل غريب، وكأنها كانت بين عالمين، وكان شعورها بالوحدة بالغاً.

اتصل بها كين من ملبورن ليتمنى لها ليلة سعيدة، فخف لديها الشعور بالوحدة. ان كين يفكر فيها... فهو يحاول.

كان الخلاف الوحيد بينهما اثناء اليومين الماضيين، على

خاتم الخطبة، فتبعاً لقرار كين، كالعادة، أوصى بإنجازه صباح السبت، وقد اعترضت ليزا بشدة، فإذا كانت احواله المالية في تراجع، كما قال فهي لا تريده ان ينفق لأجلها مبلغاً ضخماً.

ولكن كان لكين رأي آخر، فقد قال بلهجة لاذعة: «في الحياة ظروف يصبح فيها المال خارج الاعتبار.» وهكذا كان، فاختار ياقوتة زرقاء رائعة الجمال محاطة بأحجار الماس، واغلقت ليزا اذنيها كيلا تسمع ثمنها، فقد كان من الأفضل ألا تعلم.

كان ينبغي تغيير حجم الخاتم، وهكذا رتب الأمر بحيث تأتي لأخذه من متجر المجوهرات براودز يوم الثلاثاء، ولم تشأ ليزا ان تخبر احداً بخطبتها قبل ان يصبح خاتم كين في اصبعها، فقد بقيت تفكر في انه اذا حدث شيء فوق العادة، فإن بإمكانها ان تغير رأيها، وهكذا كين أيضاً.

ويوم الثلاثاء بعد الظهر، احضرت الخاتم من المتجر ووضعته في اصبعها شاعرة بأنها قد اصبحت مخطوبة حقاً. اتصل بها كين هاتفياً تلك الليلة ليسألها ان كانت احضرته ثم سألها: «ألم تتحدثي مع والديك بعد؟»

«كنت على وشك القيام بذلك.» قالت ذلك كيلا تترك لديه أي شك على الاطلاق.

«إذا أنت جعلت موعد الزفاف بعد سبعة اسابيع بدلاً من ستة، يا ليزا، فسيكون لدي وقت كافٍ آخذك فيه إلى شهر عسل حقيقي، اتحبين هذا؟»

فاغرورقت عيناها بالدموع، ان كين يحاول بعث السرور في نفسها حقاً، واجابته: «نعم، لحب هذا كثيراً. شكراً لك، سأخبر والدتي ووالدي، احسب عندك سبعة أسابيع.»

عندما اخبرت والديها، كانت ردة الفعل لديهما تتراوح بين

الدهشة والسرور واللهفة للتعرف إلى الرجل الذي ستتزوجه، ورتبوا الأمر بحيث تأتي مع كين لتناول الغداء نهار الأحد.

أما ردة الفعل التي لم تكن تنتظرها فكانت من رئيسها في العمل جاك كونواي، ذلك ان السرور لم يظهر عليه، وإنما بدا عليه الارتباك كلياً، وتساءلت عما إذا كان قد ظن بأنه على وشك ان يخسرها، ما يتوجب عليه إيجاد بديلة لها، ولكنها سرعان ما اكتشفت ان هذا ليس ما كان يفكر فيه.

قال لها فجأة وعيناه الفولاذيتان مسمرتان على وجهها: «انك تدركين بأن وضعك في الشركة حساس، أليس كذلك يا ليزا؟»

بادلته ليزا النظر دون ان تفهم شيئاً: «آسفة، فأنا لم أفهم.»

«بصفتك سكرتيرتي يسهل عليك الوصول إلى المعلومات المتعلقة بمشاريع وينجيكامبل وجيسامين، وتلك المعلومات التي ستظهر هناك ستجعل كين ماريوت في مركز يمنحه تفوقاً كاسحاً على منافسيه.»

فقالت تدافع عن كين بحرارة: «انه لم يسألني عنها أبداً.» وبعد، فقد كانت لديه الفرصة ليضغط عليها أثناء العطلة الأسبوعية لكي تخبره عما حدث في اجتماع يوم الجمعة، ولكنه لم يفعل، وتابعت تقول بمزيد من الحرارة: «حتى ولو سألني، فلن اعطيها له.»

تبددت الشكوك ولكن بقيت في عينيه نظرة حادة عنيفة: «قد لا يحدث هذا، ولكنني أرى ان انقلك إلى مكان آخر.»

لم يكن جاك كونواي، وهو المدير المنفذ للشركة الدولية المختلطة يقبل المغامرة بسمعته ومهما كانت فائدة ليزا له في الماضي، فهي ليست سوى سكرتيرة.

شعرت ليزا انها طعنت بنزاهتها، واستقامتها، فقالت والكبرياء تتألق في عينيها: «لا اريد ان افقد عملي، يا سيدي.»

«انه تضارب المصالح، يا عزيزتي.»

فأصرت قائلة: «لن يكون هناك أي تضارب.» لم تشأ ان تغير عملها، فهي تحب مكانها هذا، وعملها فيه، والمسؤولية الملقاة على عاتقها. بدا الشك على وجه جاك كونواي!

«إنني أكره ان اعرضك لاحتمال حدوث شيء، يا ليزا، بدلاً من ان تكوني فرداً مفيداً هنا.»

قالت بعناد: «هذا لن يحدث.»

نظر إلى وجهها المتوهج عدة لحظات، ثم قال: «سأفكر في الأمر.» ولكن من الواضح ان هذا الوضع كان يزعجه.

كما أنه أزعج ليزا. ولأول مرة اخذت تتساءل عما إذا كان كين ماريوت قد فكر في الزواج منها لكي يحصل على معلومات يراها بالغة الأهمية لعمله، ولكنها ما لبثت ان نبذت هذه الفكرة، حقاً ان كين كان متطرفاً، ولكن ليس إلى هذا الحد.

عندما اتصل بها كين تلك الليلة، كانت هي قد نفت هذه الفكرة من رأسها كلياً، فقد كان لديها أشياء اكثر أهمية بكثير لتفكر فيها. مثل اجتماع كين بوالديها، وترتيبات الزواج.

كانت زيارتهما لوالديها ناجحة تماماً، فقد كان تأثير كين عليهما كبيراً. فهو وسيم ناجح يبدو عليه الثراء، وقد احسنت ليزا باختياره، فقد كان ذلك واضحاً على وجهيهما، ومع ان ليزا كانت واعية للتحفظ الداخلي لكين، إلا انه اظهر ظرفاً جعل الحديث بينهم أكثر سهولة.

لكن عندما تطرقوا إلى ترتيبات الزواج، اخذت الأمور في التعقيد، لقد وافق كين، بكل سهولة على أي شيء أرادته ليزا

وأسرتها، اما الصعوبة فكانت في أنه لم يكن لديه شخصياً احد يدعوه إلى العرس، فحسب اعتباره، كان زواجه من ليزا مسألة شخصية لا تخص سواهما، هما الاثنين.

سألته والدة ليزا محتجة: «حتى ولا فرد واحد من أسرتك؟»

فكانت كلمة (كلا) من كين واضحة تماماً، وتغاضت ليزا عن الصمت الذاهل الذي تلا ذلك بما امكنها من السرعة، ولكنها شعرت بالغضب من كين لعدم تساهله بالنسبة لهذا الموضوع على الاطلاق، كان قد تركها تتصرف، بالنسبة لحفلة الزواج، كما تشاء، ولكنه كان يتصرف حسبما يشاء، هو أيضاً، لقد أرادها ان تتزوجه، وهذا ما كان، نظرة واحدة إلى ملامحه المتحجرة كانت تحذيراً كافياً لليزا بأن هذه احدى قرارات كين والتي هي (خذيه أو دعيه) ولا مجال للنقاش.

بعد ذلك جاءت اليها والدتها قائلة، ان من المؤكد ان الأعراس هي المناسبات التي يتصالح فيها المتخاصمون من افراد الأسرة، انه جفاء اثيم يبعث على الخزي، ورغم انها تعلم ان الطلاق يجعل الأولاد عديمي الصفح، أفلا يمكنها هي ليزا، ان تتكلم مع كين في هذا الشأن؟ من المؤكد ان والديه لا يريدان لهذا الصدع ان يستمر. ثم ماذا بالنسبة إلى شقيقته؟ ألم تخبرها ليزا ان كين لديه شقيقة؟

فكان ان قالت ليزا: «سأتحدث إليه يا والدتي.» ولكنها كانت تشك في انها ستحرز أي نجاح، فقد أصدر كين القانون، وعلى أسرتها ان تقبل به كما هو، ولكن ليزا فكرت في ان شقيقة كين قد تحب ان تحضر العرس، فقد كان يزورها احياناً، افلا تجرح كرامتها إذا لم يطلب منها الحضور؟

في طريقهما عائدين إلى المدينة، قررت ليزا ان تتطرق

إلى الموضوع، وعلى كل حال فإن الدعوات يجب ان ترسل بالبريد هذا الأسبوع، كل شيء يجب ان يتقرر.

ابتدأت تقول مترددة: «كين ان شقيقتك...»

فقاطعها بحزم: «كلا، يا ليزا.»

تنهد كين وهو ينظر اليها: ان والديك شخصان طيبان، ما يجعلني افهم السبب في رغبتك في دعوة اسرتك لكي يحضروا حفل زواجك، وان تستمر علاقتك بهم، ولكن هذا غير ممكن بالنسبة لأسرتي، صدقيني.»

قالت باستياء: «انك انت لا تريد ان تجعله ممكناً.»

أطلق ضحكة خشنة: «ليس ذلك من طرف واحد، يا ليزا، فهما يكرهانني بقدر ما اكرههما.»

«لماذا؟»

قست ملامحه وهو يقول بلهجة أرسلت قشعريرة في جسد ليزا: «لأنني جعلتهما يدفعان ثمن ما فعلاه.»

ثمة شيء غير عادي. فهذا لم يكن مجرد مأساة طلاق أو أولاد محرومين من الحب، وحاولت ليزا ان تتذكر كل شيء كان كين قاله عن اسرته، ولكنه كان قليلاً جداً، كانت تعلم ان والده كان طبيباً نفسياً شرعياً بارزاً كان يقدم آراء خبيرة في المحاكم الجنائية، دوماً في مجال الدفاع.

«كان يجد عذراً لأي شيء.» وكانت هذه احدى التعليقات النادرة التي كان كين يشير بها اليه، وكانت السخرية في عينيه السوداوين تجعل رأيه واضحاً، لقد كانت هناك اشياء ما كان كين ماريوت ليصفح عنها قط.

لم تكن ليزا تعلم شيئاً عن والدته ما عدا انها تزوجت مرة أخرى بعد الطلاق. كما فهمت ان شقيقته كانت عصابية إلى

درجة تدعو إلى اليأس وكان زوجها يقوم نحوها بدور الممرضة، وكان هذا مجموعة معلومات ليزا. واخذت تتساءل عما يجعل ابنة طبيب نفسي تصل إلى حد تكون فيه عصابية لا رجاء في شفائها، كما وصفها كين.

قالت ليزا بهدوء: «اظن من الافضل ان تذكر ما فعلاه، وما فعلته انت، يا كين.»

«دعي عنك هذا فقد اصبح من التاريخ.»

«لقد قبلت مراوغتك لي بالنسبة إلى اسرتك مدة عام، يا كين، وقد قبلته لأنه لم يكن لي حق بمعرفة ذلك، ولكن من حقي الآن ان افهم الرجل الذي سأتزوجه.»

فنظر اليها بجانب عينه.

«ألا تفهمين الرجل الذي ستزوجينه؟»

«ليس دائماً.»

قال ساخراً من نفسه: «ولا أنا.»

«ألا تظن ان عليك ان تخبرني بما حدث؟» اصرت ليزا على قولها هذا مصممة تماماً هذه المرة على ان لا تقبل منه أي مراوغة.

فهز كتفيه: «انها ليست قصة جميلة.»

«لست بحاجة إلى قصة جميلة، بل أريد الحقيقة. فإذا بقيت مستمراً في استبعادي من حياتك، فأي نوع من الزواج سيكون لنا؟»

أجابها بحدة: «انه ذلك الذي يصنع معظم المستقبل.»

«انه الماضي الذي جعلك ما انت عليه يا كين، فأنت دوماً تقول أو تفعل اشياء لا افهمها، انني أريد ان افهم، وقد حان الوقت لكي تمنحني هذا التفسير.»

فقطب حاجبيه: «انك لن تحبي ذلك.»

«هذا لا يهم.»

مضت لحظات صمت سادها التوتر، واخيراً قال معترفاً: «هذا صحيح، وهذا شيء أحبه فيك، يا ليزا، فأنت لا تخافين مواجهة الحقائق.»

ولكنها كانت تعلم ان هذا غير صحيح، فهي تخاف، في داخلها على الأقل، ولكنها تخلت عن عادة دفن رأسها في الرمال، في العطلة الأسبوعية الأخيرة، ومع ذلك شعرت بالارتياح وهي تعلم بأن كين يحب مزاياها كما يحب انوثتها.

قالت مصرة وهي تذكر نفسها بألا تخاف مهما يكن ما يكشفه: «ماذا حدث؟»

استرخى في مقعده في سيارته الجاغوار وقد فارق وجهه، وكانت أساريره هادئة تماماً عندما ابتدأ يتكلم، وصوته جامداً خالياً من المشاعر: «أولاً، انني دمرت سمعة والدي المهنية ونزاهته المفترضة.»

سرت في جسم ليزا قشعريرة، فهي لم تتوقع شيئاً كهذا، فسألته: «وكيف؟»

«لقد كشفت الحقيقة.»

«آه، يا كين.»

أي نوع من الرجال ستتزوج، انها تعرف كين رجلاً عنيفاً، اما ان يكون قاسياً بهذا الشكل؟

لم يتحول نظره عن الطريق امامه، وكأنه لم يسمع هتافها، كان يحيط به جو من القسوة الهادئة وهو يتابع قائلاً: «ثم دمرت زوج والدتي، مالياً وقد استغرق هذا وقتاً طويلاً، ولكنني نجحت في ذلك.»

شعرت ليزا بالتشنج في جسدها، ما الذي كان السبب في كل هذه الكراهية؟ لا بد ان هناك سبباً، لأن كين لا يفعل شيئاً دون سبب.

«لقد تركت والدتي قريبة من الفقر والعوز قدر امكاني، ما جعلها تعيش دون تلك الرفاهية التي هي اهم لديها من أي شيء أو شخص آخر.»

هذا إذن ما فعله بوالده وزوج والدته، إذ حرمهما اهم شيء لديهما، السمعة، الثراء، الكرامة، الزهو.

قالت محاولة جهدها الاحتفاظ بهدوئها وجمود مشاعرها مثله، قالت تسأله: «أهو انتقام؟»

«كلا، ليس انتقاماً بل عدالة.» وكان في كلمته الأخيرة عنف بالغ.

قالت له برقة: «لم يكن في ذلك شيء من الشفقة، يا كين.»

قال موافقاً: «مطلقاً، لم يصدر عنهم شيء من الشفقة، وبالتالي لم يحصلوا على شيء منها عندما كنت مرغماً على الدخول إلى المدرسة الداخلية، التي ارسلاني اليها، لكي يزيحاني من الطريق.»

فالتوت شفتاه، وبدت السخرية في صوته: «عدا عن الإدمان.»

توتر فكه، وما لبث ان استرخى بعد ان أرغم نفسه على ذلك مرة أخرى.

سألته ليزا بهدوء: «ماذا حدث عدا عن هذا؟»

«لقد قادوا شقيقتي إلى الإنحراف.»

قال ذلك بشكل عنيف واقعي لا أثر للمشاعر فيه، ما جعل دم ليزا يجمد في عروقها للتفكير في كل ما لم يذكره بعد، لا شك ان كين لم يقصد بكلامه ما فهمته منه.

سألته مستطلعة: «هل انضمت اليهم في ذلك؟»

«كلا... ليس بإرادتها، كانت جينا كأرنب منوم مغناطيسياً، فهي عاجزة عن رد الإجرام بحقها، لقد عودوها هذا بمرور السنوات.»

«ولكن، ألم يسيطروا عليك أنت، يا كين؟»

«كلا، انهم لم يستطيعوا.»

ما عدا الكراهية والتمرد والرغبة في النهوض من الكبوة والقضاء على الشذوذ والرغبة في التفوق هذا ما اخذت ليزا تفكر فيه، ولكن شقيقته... ما زال عقل ليزا مجفلاً من قبول هذا النوع من الوقائع التي تحدث عنها كين، لا بد انها تتخيل حقيقة ما تسمع.

سألته رغبة منها في التخفيف عن كين من هذه الصور التي يختزنها في ذاكرته: «ماذا حدث لجينا؟»

أجاب بحقد مر: «اخذ زوج والدتي الحيوان يغرر بها كل يوم عاشت فيه معهما، اما والدي والذي اتخذ مهنة إيجاد العذر لكل انواع البزاءة بدعوى الطب النفسي فقد رفض ان يصدقنا.. رفض التدخل وإبعاد جينا، ولم تشأ والدتي ان تفقد حياة الرفاهية التي كانت تعيش فيها، فأغمضت عينيها عما كان يجري، كانت تعلم ولكنها لم تهتم.

اغمضت ليزا عينيها وقد شملتها رجفة، تلك كانت الذكريات السوداء التي أرادت من كين ان يشاركها فيها، الذكريات التي شفته من المآسي العنيفة منذ زمن طويل، نعم، لقد قرأت عن مثل هذه الأمور، في الصحف وسمعت عنها في التلفزيون ولكنها لم تتوقع قط ان تمس مثل هذه الفظائع حياتها.

لا عجب إذن في ان يحتفظ كين لنفسه بها... وتمنت لو لم

تسأله، تمنت... كلا، من الأفضل لها ان تعلم هذه الأمور مهما كانت شائنة، انها تساعدها على الأقل في فهم كين.

حاولت ان تتصور كيف كان تأثير ذلك عليه، وهو يرى نفسه عاجزاً عن منعه من الإستمرار، عاجزاً عن إنقاذ شقيقته... غلام في الثانية أو الثالثة عشرة يكافح ضد كبار مصممين على ابقاء كل شيء على ما هو عليه، والتوى قلبها عطفاً على الصبي الذي حرم من طفولته.

سألته: «كيف دمرت زوج والدتك مالياً؟»

ألقى عليها نظرة تتألق رضاءً حاقداً، وقال: «كان لديه شركة الهندسة، فكرست نفسي لمنافسته عملياً، استأجرت كبير موظفيه وكان هذا الجزء سهلاً، فقد كان نذلاً مع موظفيه كما كان في كل شيء في حياته، ثم اخذت أنافسه في كل عطاء يتقدم به، فأقدم سعراً أرخص، وبالاختصار دمرت اعماله، واقدم هو على عدة اشياء حمقاء دفعه إليه الاحباط ومن ثم أعلن افلاسه، وبعد ذلك بوقت قصير مات إثر ذبحة قلبية، ولم أتألم لأجله.»

يا له من رجل عنيف لا يعرف الصفح، سألته: «هل اعددت نفسك لذلك منذ كنت في المدرسة؟»

«نعم.»

كان هذا هو السبب في ان عمله كان له الأهمية الكبرى لديه. لم يكن هو الوسيلة فقط لحياة ناجحة في العالم، وإنما كل نجاح يحصل عليه كان يغزي في نفسه، دون شك، الرضا وهو يرى تحت رحمته الرجل والمرأة اللذين أجرما في حق شقيقته وذلك بكل قسوة.

اخذ يدق بقبضته على عجلة القيادة بخفة عدة مرات وهو يقول بحزم: «العدالة... يجب ان تكون هناك عدالة.»

وخيل إلى ليزا ان قبضته هذه هي مطرقة القاضي على منصة المحكمة.

وتحت هدوئه الظاهري، كانت ليزا تحس بمشاعره العنيفة المضطرمة، وفكرت في انه ليس بإمكان كل عدالة ان تبطل ما كان حدث، انها تعاقب المجرم، ولكنها لا تنقذ الضحية.

سألته شاعرة بالألم الهائل لهذه الفتاة التي سلبوها صباها: «لماذا لم تترك شقيقتك منزل والدتها؟»

«كانت في منتهى الضعف والاتكالية...»

«ولكنها تركت المنزل أخيراً؟» سألته ذلك بضراعة آملة ان تسمع شيئاً يوحي اليها بالفرح في هذه القصة المروعة.

«نعم، لقد ابعدتها عنهما بعد ان اصبحت كبيراً إلى حد يمكنني السيطرة على أي محاولة منهما لإعادتها.» قال ذلك بعنف بينما اصابعه تشتد على عجلة القيادة: «وكانت قد اصبحت في حالة بالغة من التلف. تلف يدوم معها مدى حياتها.»

وصدرت عنه آهة وكأنه يريد ان يرتاح من بعض مشاعره المكبوتة، ثم تابع يقول: «انني افعل ما استطيعه، فأنا ارسل اليها مبلغاً كل شهر لكي تشعر ببعض الاستقلال، وهي تعلم ان بإمكانها الاتصال بي كلما احتاجت شيئاً ولكننا لا نتكلم مع بعضنا البعض، فقد حدثت أشياء كثيرة جداً.»

والآم كثيرة، واعباء كثيرة يحملها في الأعماق المظلمة من عقله وقلبه وروحه، فلا عجب انه لم يضع ثقته في احد... ولا عجب في كونه يعيش وحيداً. ذهبت الأفكار بليزا إلى حياتها العائلية السهلة الخالية من المزعجات، وملأها التقدير له لقوته في ان يصبح الرجل الذي هو عليه الآن.

لم تشعر بالعطف على والدته ووالده وزوج والدته، إذ

ليس بإمكانها ان تجد عذراً أو تصفح عن ذلك النوع من الإثم.

وكين لن يسألها مطلقاً عما إذا كانت تستحسن أو لا تستحسن ما حصل. لقد كان هو الكبرياء والعزم والقانون. ولكنه كان رجلها وإذا كان ما قام به قد ساعدها على التخلص من أي من الآلام التي ابتليا بها، فهي لن تفكر في انتقاد عمله، بل هي بجانبه.

قالت بلهجة حزينة: «انني آسفة يا كين.»

ألقى عليها نظرة حذرة فيها معنى من الضعف، ما جعلها تحدس بأنه لم يكاشف شخصاً آخر بما حدثها به، فقابلت نظرته دون ان يطرف لها جفن، عالمة بأنه يريد ان يعلم ما إذا كان عطفها هذا صادقاً، كانت هذه لحظة هامة، ومسألة ثقة تمتد اليها وتعود اليه.

فعادت تقول: «شكراً لأنك اخبرتني بكل هذا.»

قال لها بخشونة: «أريد أن تكون ذكريات عرسنا سعيدة يا ليزا.»

طمئنته بقولها: «وهي ستكون كذلك.»

«وهذا هو السبب في انني لا اريد احداً من اهلي هناك.»

هفا قلبها اليه وسألته: «هل يمكنك ان تسافر بالطائرة الأخيرة هذه الليلة؟»

نظر اليها بحذر: «اظن ذلك، لماذا؟ هل هناك المزيد من افراد اسرتك تريدينني ان اتعرف اليهم؟»

فقالت باسمة: «كلا، بل فكرت في ان نسهر معاً هذه الليلة.»

بدا الإستغراب على وجهه وكأنه لا يصدق انها نسيت تاريخ ماضيه بهذه السهولة.

سألته: «انك تحب السهر معي، أليس كذلك؟»

«طبعاً.»

«سنمضي معاً وقتاً ساراً.»

قال وقد بان العزم في عينيه: «نعم، هيا بنا.» وفي المستنبت الزجاجي في حديقة منزله، والبدر يطل عليهما قال لها: «انني أريد أسرة، يا ليزا، أسرة لي تكون كما يجب ان تكون عليه الأسر. أريد ان أربي أولادي تربية حسنة، واكون لهم الوالد الذي كنت أتمناه لنفسي، وانت تريدين أسرة أيضاً، أليس كذلك؟»

«نعم، بالطبع.» تمتمت بذلك بسعادة.

تنهد راضياً وهو يقول: «سنكون والدين صالحين.»

فقالت باسمة: «سنحاول ذلك قدر امكاننا، يا كين، اظننا سنشترك في اقتراف بعض الأخطاء إذ لا يوجد انسان كامل.»

«لقد انشأك والداك بشكل جيد.»

هذا مزيد من الاستحسان تراه من كين هذا النهار فقالت: «اشكرك.»

«عليك ان تريني كيف تقومين بذلك.»

«كيف اقوم بماذا؟»

«كيف تكونين والدة جيدة.»

ارتفعت قهقهتها سروراً: «ليس لدي من الخبرة اكثر مما لديك يا كين.»

«ولكن كان لديك المثال الجيد.»

تنهدت راضية: «انني مسرورة لاعجابك بوالديّ؟»

«انهما لا يؤذيان احداً.»

وتساءلت ليزا عما اذا كانت هذه هي القاعدة في حكم كين على الآخرين، وما كان ليدهشها إذا كان كذلك بالنسبة إلى

خبرته في الحياة، وشعرت بنفسها أقرب إليه مما كانت قط من قبل، وذلك بعد ان ابتدأت تفهم العقل الذي يقود هذا الرجل.

كان عليه ان ينجح، وكان هاجسه ذاك مبنياً على انعدام الشعور بالأمان والذي لم تعرفه ليزا قط، فكان من الطبيعي ان تصبح اعماله في القمة، وكان هذا بالنسبة إليه، أمراً واقعياً، محسوساً سهل الوصول إليه فالنتائج محسوب أمرها، والأرباح في البنك، والناس لا يمكن التنبوء بما يمكن ان يصدر عنهم.

ربما لم يكن كين يعرف ما هو الحب، ولكنه اختارها من بين كل النساء، واليوم قد ابتدأ يثق بها، ويفضي اليها بخصوصياته، لقد أرادها زوجة له تعطيه الأسرة التي يحلم بها، وهذا يعني شيئاً كثيراً بالنسبة إلى ليزا.

كان كين ماريوت رجلاً صلباً لا يعرف التسويات ولكن بإمكانها ان تعتمد على ولائه واخلاصه والتزامه الكامل بعهود الزوجية، هذا عدا عما يرغب في ان يتعلمه، هذا اذا وجدت الطريق الصحيح لتعليمه، فليس في الحياة ضمانة، كما اخذت ليزا تحدث نفسها، وكل ما بإمكانها عمله هو ان يستغلا افضل ما لديهما معاً.

الفصل الثامن

كانت حفلة زفاف صغيرة، ولكن مع كل ملحقاتها التي طالما حلمت ليزا بها، وقد وصفت والدتها هذه الحفلة بأنها اكثر حفلات الزفاف في التاريخ ميلاً إلى جانب واحد، إذ كان العريس وحده في ناحيته، ولكن ليزا وقفت بجانب كين بعزيمة راسخة وهو يصر على الوقوف وحده. كان يريدها بجانبه بقية حياته، وكان هذا هو غرضه الأساسي من الزواج.

ومع ذلك وهي تدخل مع والدها لإتمام عقد القران، شعرت بقلبها يغوص بين ضلوعها، هل شعور كين نحو الناس الآخرين قد محته أسرته تماماً؟ وماذا لو لم يستطع ان يمنحها الحب الذي تريده منه، على الاطلاق؟ وماذا لو لم يجد فيها ما ينتظر حسب مقاييسه الخاصة؟ أتراه سيحكم عليها بقسوته التي لا تعرف الإعتدال؟ كان الزواج من كين ماريوت شيئاً بالغ الخطورة... فلماذا تفعله؟

ذلك لأنه لا بديل معقول عنه... هذا ما حدثها به قلبها. اما عقلها فحدثها بأن المشاكل ستأتي فيما بعد.

خفق قلبها عندما سلمها والدها للرجل الذي كان ينتظرها ليسجلها زوجة له، وابتسم لها كين وقد نطقت عيناه بأنها تبدو رائعة الجمال وبالغة الأنوثة في ثوب العرس، فهو يريدها بجانبه، وحدها فقط، بقية حياته، ولم تستطع ليزا ان تمنع عنه هذا.

لقد كانت تحب كين ماريوت، سواء كان ذلك للأفضل أم للأسوأ.

ولهذا تزوجته. منذ اللحظة التي نطق رجل الدين فيها بكلماته المصيرية، لم تعد ليزا تلك العروس المتوترة، بل عروساً سعيدة للغاية، فقد قال المدعوون كلهم ذلك، وكذلك أسرتها، ولكن ليزا كانت تعلم ان مظهرها لا صلة له بالسعادة، وإنما كان هو الإندفاع والتهور، ومهما كانت النتائج فهي ستواجهها عندما تحصل ثم تنتصر عليها، فليس ثمة رجوع، فهي مع كين، سيواجهان ويشتركان في ما تأتي به حياتهما.

في غرفتهما، طفحت عيناها بالدموع وهي تنظر إليه.

لقد اصبح هذا رجلها منذ الآن فصاعداً.

همست تقول وهي تمنحه قلبها: «احبك يا كين.»

فكان كل مالجابها به، هامساً: «ليزا.» ولكن اننيها سمعتا الحب في لفظة اسمها، انها زوجته الآن، امرأته وهو رجلها، ولن يكون بينهما أي شخص آخر.

أرادا أن يكون شهر عسلهما مثالياً، وقد ابتدأ بهذا الشكل، ما عدا بعض الاختلافات البسيطة في الرأي سرعان ما كانت ليزا تزيلها، في الصباح التالي للعرس، استقلا الطائرة من سيدني إلى جزر فيجي، وكان كين قد حجز لعشرة ايام في جزيرة تورتل، وهي منتجع صغير منعزل تستضيف دزينة من الأسر في نفس الوقت، ومنذ لحظة وصولهما اعجبت ليزا بالجمال الإستوائي هذا.

أخذت الأيام المثالية تتوالى، فالجو رائع، وكانا يمتطيان الجياد في أنحاء الجزيرة قبل الإفطار. وكانا يسبحان أو

يغوصان أو يستلقيان تحت الأشجار يقرآن حتى موعد الغداء وكانا يلعبان الكرة على الشاطىء مع الموظفين الفيجيين حتى غروب الشمس، وكانا يتناولان المرطبات مع بقية النزلاء، ويستمتعان بالأحاديث العامة على العشاء.

بقيا في انسجام تام إلى ان وصل شهر عسلهما إلى نهاية مفاجئة.

كان ذلك في اليوم الخامس حين وصلت مكالمة هاتفية من ملبورن تتحدث عن أزمة أخرى. ذلك ان الرجال في مركز البناء التابع لشركة كين قد صوتوا على القبول بتوصية اتحاد العمال لكل الأنشطة الصناعية بأن يعلنوا الإضراب طلباً لزيادة الأجور، وهم الآن قد تركوا العمل.

لم يكن هناك جدال في ما ينبغي ان يعمل، فقد كانت اعمال كين في خطر، وليس هناك اعتبار لأي شيء آخر. وسرعان ما اتخذ قراره وحجز على أول طائرة إلى استراليا في اليوم التالي. ثم حدث ليزا بالخبر.

لم يقل: «انني آسف لانتهاء شهر العسل.»

فقد كان ذهنه مشغولاً تماماً بمشاكله المالية، وكان هذا منطقياً، كما حدثت ليزا نفسها، ذلك ان هذا الإضراب قد تغلب على شركة كين الهندسية، فكل ما بناه كين في حياته سينهار، لم يكن تأثير هذا وكأنها لم تكن تعلم ان مركزها في حياته هو الثاني بعد عمله، فقد أدركت الآن السبب في أهمية عمله بالنسبة إليه، ولم يكن لديها اعتراض مطلقاً على ما فعل، وإنما طريقة كيفية قيامه بذلك هي التي جرحتها، فلا مشاركة في الرأي، والذي كان من جانب واحد كلياً، لقد كان كين هو كين، وليس زوجها.

لم يعجب هذا ليزا، فهي زوجته، ولن تدعه يعاملها وكأنها صديقته السابقة، فما يحدث الآن لأعماله يمسها، هي أيضاً، ولهذا لها كل الحق في أن تشترك معه في الرأي.

قالت: «سأذهب معك إلى ملبورن.»

نظر إليها عابساً، ولكنها عادت تقول: «مازال لدي أسبوع آخر من شهر عسلنا قبل ان اعود إلى عملي، وأنا لن أقيم وحدي في سيدني، يا كين.»

قال محذراً: «ليزا، لن يكون الأمر ساراً بالنسبة إليك، فإذا كان عليّ ان اخرج هذا من النار، فسيكون عليّ ان اعمل ليلاً نهاراً.» وعبس مرة أخرى «يمكنك البقاء هنا إذا شئت...»

«كلا، لن أبقى هنا من دونك، يا كين، إنني سأتفرج على ملبورن لأنني لم اذهب اليها قط، ولهذا انا واثقة من أنني سأجد الكثير مما أراه واقوم به، ومن يعلم؟ ربما ترى مني فائدة ما، فأنا سكرتيرة جيدة كما تعلم.»

اخذ ينظر في عينيها متردداً: «أليس لديك مانع إذا انا لم اجد الوقت لرعايتك والعناية بك؟ والمجيء متأخراً في الليل فأزعجك أثناء نومك؟»

«يمكنك ان تزعج نومي في أي وقت، يا كين.» وهكذا لم يعد بينهما أي نقاش بمسألة مرافقتها له إلى ملبورن ليمضيا معاً الأسبوع الأخير من شهر عسلهما.

على كل حال، فالأمور لم تسر كما كانت ليزا ترجو، فقد شعرت في ملبورن بالوحدة والسأم، ولم تجد سروراً في التفرج على ملبورن وحدها، أما كين فلم تكن تراه كثيراً، وكانت في بعض الليالي نائمة حين عودته إلى الفندق، فلا يوقظها، وعندما يجلسان للإفطار كان يبدو عليه الإنفعال والتوتر.

كان احياناً يسألها عن برنامجها لهذا النهار، ولكنه لم يكن يستمع إلى جوابها، في الحقيقة، ذلك ان ذهنه يكون مشغولاً بما عليه ان يصنع، وإذا هي سألته عن مشاكله فهو فقط يتمتم بأنها سيئة، ومع نهاية الأسبوع، كانت ليزا مسرورة وهي تستقل الطائرة عائدة إلى سيدني، رغم انه كان على كين أن يبقى في ملبورن، ان بإمكانها على الأقل ان تشغل نفسها بعملها وترى الناس الذين تعرفهم حولها.

كان جاك كونواي قد احتفظ بها سكرتيرة له رغم شكوكه بالنسبة إلى وضعها المعرض للشبهة ويبدو انه قد قرر ان يضع ثقته في كرامتها، فقد كانت ذات فائدة جمة له، وقد بدا عليه السرور وهو يراها في أول صباح لها في المكتب.

سألها وقد لمعت عيناه اهتماماً، «كيف كان شهر العسل؟»

أجابت: «رائع.» ومنعها كبرياؤها ووفاؤها لكين من اطلاعه على ان النصف الثاني من شهر العسل كان تعساً نوعاً ما.

فسألها بدهاء: «ألم يترك الإضراب تأثيره عليه؟» إنه طبعاً يعرف بالإضراب، فهو قد أثر على شركته كذلك.

«لقد قصّر من مدة شهر عسلنا، وهذا كل شيء.»

لرفع حاجبه متسائلاً: «آه، ألم يسألك ماريوت عن مشروعي وينجيكامبل وجيسامين بعد؟»

عبست لهذا السؤال واجابته بحزم: «كلا، يا سيدي.»

فالتوت شفتاه باستحسان ساخر: «انني اعجب... لا بد ان لديه خطة أخرى...»

ثم غادر إلى مكتبه تاركاً إياها تتساءل هي أيضاً، كان واضحاً ان جاك كونواي كان يتوقع من كين ان يستغلها

بصفتها منبعاً للمعلومات. وان عدم قيامه بذلك كان يثير الاستغراب في ذهن رئيسها، ذلك ان مدير «الشركة الدولية المختلطة» ما كان نفسه ليتردد في مسألة استخدامها لمصلحته، فقد فعل ذلك مرات ومرات، ايمكن ان يكون كين يهدف بتعمده السكوت إلى جعلها تتقدم لإصلاح الوضع من ذاتها؟ أتراه ينتظر منها ان تخبره، متوقعاً ان تخفف من الضغط المالي الذي يرزح تحته؟

لكن ليزا ما لبثت ان نبذت من ذهنها هذه التخمينات، فقد كانت اشياء ملتوية بالنسبة إليها، ذلك ان كين لم يطلب منها أية معلومات، وكانت هي راضية مقتنعة بهذا، رغم انها اخذت تتساءل كيف أتى على ذكر تدميره لزوج والدته مالياً، والوسائل التي حققت ذلك، لا بد أنه حصل على معلومات من الداخل جعلته يقدم عطاءات أرخص من المعروضة، ماذا غير ذلك قد يكون قام به؟ ولكن ليزا عادت فحدثت نفسها بأن ذلك الأمر كان مختلفاً لأنه كان يحقق العدالة.

لم يكن انفصالها هذا عن زوجها بداية حسنة لزواجهما، كما اخذت تفكر وقد تملكها الإكتئاب، خصوصاً وقد اخذت الاسابيع تتبع بعضها البعض، وكان كين يتصل بها هاتفياً كل صباح تقريباً قبل ذهابها إلى العمل، ولكن استياءها من هذا الوضع كان في إزدياد، فهي لم تعد تراه حتى في عطلة آخر الأسبوع. ورغم ان إضراب العمال قد انتهى، إلا ان كين أوضح لها ان هناك من العمل الذي ينبغي إنجازه ما لن يستطيع تركه، فقد طلب من العمال القيام بساعات عمل إضافية وهم يقومون بها حالياً، ولكن كل شيء يحتاج إلى تنسيق وإشراف.

لم يكن الانتظار سهلاً، ورغم اقتناعها إلا انها لم تستطع منع نفسها من الشعور بالإهمال وعدم الأهمية. وكان اكتئابها يزداد وهي ترى نفسها وحيدة ليلة بعد أخرى، وكانت تشعر احياناً بالرغبة في البكاء نتيجة احساسها البالغ بالإحباط، لقد كانت تزوجت الرجل الذي تحب، ولكنها لم تستطع امتلاكه، ولم تستطع الحصول على حبه أيضاً، رغم ما يبدو عليه من لهفة المحبين في الهاتف.

ومساء الجمعة من الأسبوع الثاني، مرت بها لحظات تملكها اثناءها الرجاء في ان كين قد غير رأيه بالنسبة إلى عدم القدوم إلى البيت لقضاء العطلة الأسبوعية، وإذ كانت تعلم أن لا أحد سواه يمكن ان يتصل بها بعد العاشرة ليلاً، هرعت إلى الهاتف عندما تصاعد رنينه.

أمسكت بالسماعة تعلن اسمها: «ليزا ماريوت.» وساورها السرور وهي تقرن اسمها باسم زوجها.

«من أنت؟»

كان صوت امرأة، وتوقف قلب ليزا عن الخفقان، وساورتها الشكوك، ما الذي يجعل أي امرأة تتصل بكين في مثل هذه الساعة؟

قالت ببرود: «انني ليزا ماريوت زوجة كين، ماذا تريدين؟»

«أريد كين.»

«انه غير موجود حالياً، فهو في ملبورن.»

صمت.

سألتها ليزا بعذوبة لاذعة: «هل تريدين أن تتركي له خبراً معي؟»

فازداد الصمت، وعندما فكرت ليزا بأن هذا يضع نهاية للحديث، جاء الجواب يضطرب ذهولاً وعدم يقين: «هل قلت... زوجته؟»

قالت ليزا مؤكدة: «نعم.» واخذت حرارتها ترتفع. إذا كان كين قد كذب عليها... إذا لم يكن مخلصاً لها منذ البداية...

وسألت: «من المتكلم، من فضلك؟»

فعاد الصمت، ثم: «انني جينا وودبري، انا شقيقة كين.» كان صوتها ضعيفاً وكأنها لم تكن واثقة من وضعها.

قالت ليزا بسرعة: «أنا آسفة، لم أدرك انه أنت، لم أكن اعرف...»

وما زال الصوت مرتجفاً يبدو فيه عدم اليقين: «انه... انه لم يخبرني بأنه سيتزوج، أنا آسفة... عليّ ان أذهب.»

قالت ليزا بحدة: «كلا، لا تذهبي.» كانت تريد أن تتحدث إلى جينا، فهناك الكثير مما تريد معرفته.

«لا أريد ان اتدخل..»

أسرعت ليزا تقول: «ان هذا ليس تدخلاً فأنا متزوجة من شقيقته.» وسكتت لحظة، لم تستطع ان تقول صراحة ان كين لم يشأ ان يدعو شقيقتي إلى عرسهما، ثم عادت تقول: «أنا آسفة إذ لم نتعرف إلى بعضنا البعض، لقد أردت فعلاً...» ولم تعرف ماذا تقول.

وجاءها الجواب ببطء: «اتظنين...؟» وكان في صوتها تساؤل بحاجة إلى حسم.

قالت بحزم: «نعم، اظن ذلك.» وكانت بذلك تأمل ان تشجعها.

قالت جينا مترددة: «انا أحب... احب ان اتعرف اليك.»

بدا لليزا وراء كلمات المرأة كدر حقيقي. وتملكها نحو هذه المرأة التعسة عطف بالغ وأسى حقيقي لما اصبحت عليه اعصابها من تلف، وفجأة تذكرت ما كان قاله لها كين من أنه طلب من شقيقته الإتصال به كلما احتاجت إلى شيء. فقالت لها: «جينا، هل هناك شيء يمكنني صنعه لأجلك؟ ان كين مسافر، ولكن بإمكاني ان افعل كل ما تريدين.»

مضت لحظات أخرى من الصمت، سارعت جينا بعدها تقول: «هل بإمكانك؟ أنا بحاجة إلى من أتحدث إليه.»

«طبعاً سأتحدث اليك.»

«أيمكننا تناول الغداء معاً؟»

«نعم، كل ما تريدينه، وأينما تحبين.»

كانت ليزا قد اندفعت تقول هذا دون أن تفكر فيما إذا كان كين يوافق على هذا، «هذا حسن.»

«ما رأيك ان يكون ذلك غداً، أو متى تريدين ذلك يا جينا؟»

«غداً، شكراً لك. ما اسمك؟»

«اسمي ليزا، أين سنتقابل للغداء؟ هل تفضلين مكاناً معيناً؟ أتحبين ان تأتي إلى هنا؟»

«كلا... آه، كلا... ليس في غياب كين، لا احب ان أثقل عليك...»

تنفست بعمق محاولة تهدئة لهفتها، ثم قالت: «ما رأيك في مطعم دويل في ساحة كواي؟ يمكننا من هناك ان نتفرج على المراكب في المرفأ، ولا ضرورة لأن يعرف كين بالأمر.»

كان يبدو وكأن جينا قلقة من أن يعرف كين بلقائهما، ولكن ليزا في تلك اللحظة، لم تهتم برأي كين، إذ لم يكن يشغل بالها سوى تهدئة شقيقته والتخفيف مما كان لحق

بها من أذى، وربما كان كين يضع في اعتباره ضعف جينا وحالتها العصبية، ولكن لشد ما تألمت هذه الفتاة التعسة...

وقالت: «هذا يناسبني، الساعة الثانية عشرة؟»

«نعم، الثانية عشرة، شكراً يا ليزا، ان اسمي جينا وودبري، هل ستتذكرين هذا؟» سألتها ذلك ومازالت اللهفة في صوتها.

فقالت ليزا تطمئنها: «ليس ثمة مشكلة، وانا مسرورة بلقائك.»

«إنه... إنه جميل منك هذا القول، وأنا مسرورة لأن شقيقي وجد من يريد الزواج منها، مسرورة جداً...»

وتلاشى صوتها، فقالت ليزا: «حسناً، سأراك غداً يا جينا.»

«نعم، غداً، تصبحين على خير يا ليزا.»

لم تتذكر ليزا انها نسيت أن تسأل جينا عما كانت تريده من كين، إلا بعد انتهاء المكالمة بدقائق، ان عليها ان تسألها غداً عن ذلك، فإذا كانت تريد شيئاً، فإن كين يريدها ان تحصل عليه طبعاً.

كانت هذه مكالمة غريبة تتضمن أموراً معقدة، وبدا لليزا وكأن جينا تظن ان شقيقها يشعر بالخجل من قرابتها له، وهذا غير صحيح بكل تأكيد، ومع ذلك... وهزت ليزا رأسها مشوشة الذهن، هنالك أشياء كثيرة لم تكن تعرفها، ربما اجتماع الغد مع جينا سيجعل الأمور أكثر وضوحاً.

• • •

اجتهدت ليزا في ان تكون في مكان الاجتماع بشقيقة كين، في الوقت المقرر بالضبط. فإذا كانت اعصاب جينا

كما وصفها كين، فإن اقل انتظار لها قد يزعجها، ولسبب ما، فكرت ليزا ان من المهم جداً ان تتعرف إلى جينا ووديري فقد تعرف كين بشكل افضل وذلك من وراء معرفتها بشقيقته، بدا لها غريباً ان يكون هو بهذه القوة، وهي بهذا الضعف، ولم تكن ليزا تعرف ما عليها أن تتوقعه، فمن ناحية أخرى، قد لا توافيها جينا إلى الموعد على الاطلاق، فاهتمام ليزا الوحيد هو ان لا تكون مخطئة هي نفسها.

كانت قد ارتدت الثوب البنفسجي الذي كان جاك كونواي قد أعجب به، فقد كان من ملابسها المفضلة، وكانت تأمل ان يعجب مظهرها جينا، ولم يكن لدى ليزا فكرة عن شكل شقيقة كين، تصورتها داكنة الشعر والعينين كشقيقها، ولكنها عندما دخلت إلى المطعم وسألت عن المائدة المحجوزة باسم السيدة ووديري، وجدت الحقيقة أبعد ما تكون عن الخيال.

قادها النادل إلى مائدة يجلس عليها رجل وامرأة وليس امرأة وحدها، نهض الرجل لها عند اقترابها، بدا في حوالي الأربعين من العمر، قد خط الشيب شعره البني اللون، معتدل الطول والبنية، أما وجهه فكان يسر الناظر بوجه عام.

أما المرأة التي كانت معه فقد كانت شقراء جميلة للغاية ذات ملامح رقيقة وعينين واسعتين رقيقتين، لقد كان من المستحيل أن تجد لها شبها بكين على الاطلاق، كان هذا يحدث في الأسر، بطبيعة الحال، فلا يتشابه الأخوة، نظرت إلى ليزا تلتهمها بنظراتها، بينما كان الرجل يقدم نفسه وزوجته، وهو ينضح لطفاً ورقة: «انني تريفور ووديري، وزوجتي جينا تشعر بالإرتباك والخوف من الغرباء والزحام، ولهذا احضرتها بنفسي لكي تشعر بالأمان والآن

سأتركك لكي تعتني بها.» نظر إلى ليزا ملتمساً منها بضراعة ان ترعى زوجته، قبل ان يلتفت إلى جينا قائلاً: «انك تعرفين أين ساكون، يا حبيبتي، تعالي إليّ عندما تريدين الذهاب وذلك في أي وقت تشائين.»

قالت وهي ترتجف توتراً: «انك رائع، رقيق يا تريفور.»

فضغط يدها مطمئناً، ثم قدم مقعداً لليزا، واطمأن إلى راحتهما ثم أمر لهما بمرطبات وذهب.

قالت جينا بتوتر: «أرجو أن يكون الطعام البحري يعجبك، يا ليزا.»

كان مطعم دويل مشهوراً بالسمك الطازج، فقالت ليزا تطمئنها، آملة بأن تيسر لها الأمر: «انني أعشق السمك.»

اخذتا، هما الاثنتين، تدرسان قائمة الطعام، ثم اخبرتا النادل بما تريدانه، ثم أخذت الواحدة منهما تنظر إلى الأخرى برهة، قبل ان تجد ليزا شيئاً تقوله: «إن زوجك سيد محب وغاية في اللطف.»

فأشرق وجه جينا بالإبتسام، كانت حلاوتها تلوي الفؤاد، لقد كان كين قد قال لها ان شقيقته اكرهت على الإنحراف، ولكن لم يكن يبدو على وجهها الجميل أي أثر للفساد، ولا في ملابسها والتي كانت عبارة عن بذلة محتشمة وبلوزة وردية عالية العنق.

قالت ببساطة: «ان تريفور انقذني.»

قالت ليزا: «لقد حدثني كين عما تعرضت له من معاناة.»

مالت جينا إلى الأمام، وفي وجهها لهفة إلى ان تجعل ليزا تفهمها: «لولا تريفور، لقتلت نفسي، انه ممرض، كما تعلمين.»

«كلا، لم اكن اعلم.» كانت تعلم فقط انه كان يمرض جينا، حسب قول كين.

«لقد صادفته في مركز إعادة تأهيل المدمنين. وكان هذا افضل ما فعله كين لأجلي، وهو وضعي في ذلك المركز، ولو لم اقابله... ان زوجي اكثر الرجال محبة في العالم.»

قالت ليزا باسمة: «هذا ما رأيته، انك فتاة محظوظة، يا جينا.»

«نعم، انا كذلك، لقد حاول كين قدر امكانه، فهو دوماً كان يحاول، ولكنه لم يكن يفهمني على الاطلاق.» وبدا القلق في صوتها وهي تضيف قائلة بسرعة: «أرجوك، لا تظني انني انتقده.»

قالت ليزا تخفف عنها: «ليس كل شخص قادر على التفهم.»

نظرت جينا اليها متفحصة بعينيها الكبيرتين: «لابد انك شجاعة جداً.» وأومأت باستحسان. «وقوية أيضاً وطبعاً، ما كان كين ليتزوج امرأة غير قوية، ان عليك ان تكوني قوية.»

«لماذا تقولين ذلك؟»

وأطلقت جينا ضحكة قصيرة متوترة: «انه يستاء من الضعف، فهو لا يعرف كيف يتعامل معه، وهذا كما تعلمين، ليس ذنبه، لأنه ليس من مزاياه. فقد ولد كين محارباً.»

فقالت ليزا: «نعم، هذا ما أراه.»

«انك مغرمة به.» وكان هذا بياناً وليس سؤالاً، فأجابت ليزا: «نعم.»

«منذ متى عرفته؟»

«منذ أكثر من سنة بقليل.»

«ومتى تزوجتما؟»

«منذ أربعة أسابيع.»

فأومأت جينا، ومرة أخرى شعرت ليزا بالحرج البالغ لعدم إرسال دعوة إلى جينا لحضور العرس، لأن كين لم يجد من الملائم لهما أن يتعارفا قبل ذلك.

رفعت جينا بصرها، وإذ رأت ما ارتسم على وجهها من ارتباك، ابتسمت بعطف، قائلة: «لا بأس، فأنا متفهمة، ان كين يريد ان يفصل حياته الحاضرة عن ماضيه، يريد حياة جديدة نظيفة، لقد كان لخبرك بكل شيء، أليس كذلك؟»

لم يكن من الضروري الإفصاح عما كانت تعنيه، فقد كانت المعرفة في اعينهما هما الاثنتين، ولكن ليزا قالت محاذرة من ان تسبب لها الألم: «بعض الأشياء.»

«هل هو يحبك، يا ليزا» لأمر ما، وجدت من المستحيل ألا تخبرها بالحقيقة فأجابت بصدق: «لا أدري، فقد ابتدأ يثق بي.»

ابتسمت جينا: «انني مسرورة لذلك، فقد عاش وحيداً زمناً طويلاً، كان في وحدة هائلة لم استطع مساعدته، خصوصاً بالشكل الذي كان بحاجة إليه، فأنا لم اكن بالصديقة المناسبة.»

سألتها ليزا بهدوء: «انك تحبينه كثيراً أليس كذلك يا جينا؟»

«آه، نعم.» واغرورقت عيناها بالدموع. «أنا مستعدة للقيام بأي شيء لأجله، أريده ان يكون سعيداً، فحياته لم تكن سهلة، هو أيضاً، فقد واجهها بغير ما واجهتها أنا به،

أرجو ان تكوني صبورة معه، يا ليزا، فهو لا يظهر مشاعره، ولكنه يتألم في داخله، انني احياناً أفكر في ان الحياة كانت أسوأ بالنسبة إليه منها إليّ، انني أعرف أن مرآي يؤلمه، وليس بوسعي شيء إزاء ذلك، فهو يظن انني خذلته.» ولفظت جملتها الأخيرة بحزن.

«أنا آسفة.» همست ليزا لها بذلك وقلبها يهفو إلى هذه الفتاة التي خسرت، في الواقع، شقيقها الذي تحبه، اخذت تفكر في كل ما قاله لها كين، ولماذا يؤلمه ان يرى شقيقته الآن، ثم سألتها برقة: «لماذا لم تهجري ذلك الوضع، يا جينا؟ لماذا بقيت مع والدتك وزوجها؟»

ارتجفت شفتاها بشبه ابتسامة: «آه، لم استطع ان اتركهما، لم يكن هناك حل آخر قابل للحياة.» وبدا في عينيها المعذبتين عزم قوي لم يكن فيهما من قبل، كان جمرة تشتعل تحت رماد حياتها، وتراجعت ليزا امام تلك النظرة، مشوشة الذهن، محاولة ان تفهم، وقد أدركت ان جينا كانت تحاول ان تخبرها بشيء هو سهل جداً بالنسبة اليها ولكنه مخيف معقد بالنسبة إلى ليزا.

حاولت ان تحوم حول الموضوع: «يمكنني ان أدرك ذلك. لا بد ان الأمر كان بالغ الصعوبة بالنسبة إلى فتاة في الثانية عشرة...»

فقاطعتها جينا بسرعة: «ليس لذلك علاقة بالأمر، لا شيء على الاطلاق.» وبدا الارتباك في نظراتها: «كنت اظنك فهمت، ولكن هذا لم يحدث.»

ابتدأت في النهوض وهي تمد يدها إلى حقيبة يدها، وقد بدا الأسى والإضطراب في كل حركة منها، ولكن ليزا اندفعت

تمد يدها عبر المائدة تمسك بها يد جينا لكي تلفت انتباهها، وهي تقول معتذرة: «انني أحاول ان افهم، فأرجوك ألا تذهبي، أرجوك... اريد ان استمع اليك، أريدك ان تخبريني عما لست أفهمه.»

بدا انها نجحت في ذلك، إذ عادت جينا إلى الجلوس وقد تسمرت عيناها في عيني ليزا بعنف، متفحصة اخلاصها. لو كان عليّ ان أفكر في نفسي فقط، لتركت ذلك المنزل سواء كنت في الثانية عشرة أم لا... فأنا لست إلى هذا الحد من الضعف.»

«لماذا... إذن؟» وعندما ألقت هذا السؤال رأت ومضة ألم على وجه جينا، ما جعلها تعلم أنها فشلت في امتحان الفهم، بينما تمتمت جينا تقول: «الأمر سهل، حقاً.» ثم حاولت النهوض مرة أخرى، دافعة كرسيها إلى الخلف، متفقدة حقيبة يدها، ثم وقفت وعيناها تتجنبان عيني ليزا: «يجب ان أعود إلى تريفور.»

«نعم، بالطبع.» قالت ليزا ذلك بعد ان لم تستطع ان ترغم هذه المرأة التعسة على القيام بشيء، كان عليها ان توافق على كل ما تريده جينا. فالإشارة إلى ما كان حدث منذ كل تلك السنوات، قد أثار الإنزعاج في مشاعرها، لقد ندمت ليزا على إثارتها للموضوع. كان يجب عليها ان تكون اكثر لباقة، إذ بالنسبة لأول اجتماع...

سارت جينا خطوتين، ثم ترددت، وعادت تنظر إلى ليزا مرة أخرى: «انني احبك، وأنا مسرورة بالتعرف إليك.»

ردت عليها ليزا برقة: «وانا أحبك، أيضاً.» فأومأت جينا.

وصل الطعام، وقطبت جينا حاجبيها إزاء اطباق الطعام التي اخذ النادل يضعها على المائدة، هزت رأسها ثم شرعت

بالسير مرة أخرى، وكأن لا علاقة لها بهذا الطعام، واخذت ليزا تفكر عابسة كيف افسدت الأمور.

تناولت حقيبة يدها لكي تدفع ثمن الطعام. كان عليها ان تسلم جينا إلى زوجها بأمان، أينما كان، تركت أوراق النقود المطلوبة على المائدة ثم نهضت واقفة، وعندما التفتت رأت جينا تستدير على عقبيها متقدمة نحوها: «ليزا...»

«نعم؟»

عادت جينا إلى مائدتهما، وقد بدا العزم على وجهها، ثم وقفت امام ليزا: «لقد حدث ذلك لأن...»

فقالت ليزا تشجعها بلطف: «نعم؟»

سرت رعشة في جسد جينا النحيل: «لقد كنت مستميتة لترك ذلك المنزل، ولكن خطة كين كانت في أن أهرب معه، قال انه سيكتب بالنسبة إلى عمره ليحصل على عمل ويعيلني. وكان سيقوم بذلك، فقد كان كبير الجسم حينذاك، ودوماً كان قوياً، ولكنني لم استطع ان أدعه يتخلى عن فرصة عمره في حياة جيدة، وهكذا كان عليّ ان ابقى بعد ان لم أجد سبيلاً آخر.»

تألقت عيناها الجريحتان بقوة داخلية، هي إيمانها الراسخ المطلق بما فعلت، ونفس القوة جعل صوتها حازماً وهي تدلي بالسبب. «كان عليّ ان احمي كين.»

وفجأة، كان تريفور هناك بجانبها يمسك بذراعها بلطف: «اتريدين الذهاب الآن، يا حبيبتي؟» وكان صوته رقيقاً للغاية.

ابتسمت له جينا بارتياح: «نعم.»

نظر إلى ليزا: «هل تعذرينا؟»

«طبعاً.» ومدت يدها تضغط يد جينا. «اشكرك للتعرف عليّ والتحدث معي.»

أمعنت جينا النظر في عينيها بقلق: «لن يعجب كين هذا، وانا فقط أردت ان أراك... ان اعرفك قليلاً، انك لن تخبريه، أليس كذلك، يا ليزا؟»

كانت فكرة الخداع تثقل على نفس ليزا، ولكنها لم تستطع ان تتجاهل ما بدا في تلك العينين البنيتين من ضراعة: «إذا كنت تفضلين عدم قولي...»

منحتها جينا ابتسامة مودة صافية وقد نسيت على الفور بطء تفهم ليزا لما كان واضحاً لها هي تماماً، وقالت: «انني مسرورة لأن كين عثر عليك.»

«شكراً وانا أيضاً مسرورة لأنك عثرت على زوجك، يا جينا.» ونظرت إلى تريفور باحترام عميق لعمق عطائه.

تلاشى التحفظ من تلك العينين الزرقاوين وبدا فيهما الاستحسان وهو يقول: «أرجوك ان تبقي وتتناولي غداءك، وأنا سانهي كل شيء على المكتب.» ثم ابتعد مع زوجته.

عادت ليزا إلى الجلوس حيث اخذت تتناول طعامها وهي تفكر في ما اخبرتها به جينا، بشكل ما، قد تجاوز هذا بكثير الرغبة. اتراها كانت تستمع إلى هذيان شخص مضطرب؟ ام انها رأت امرأة قامت بتضحية قصوى وهي ان تصبح ضحية؟

لم تكن ليزا تشعر بشهية للطعام، فتركت الطعام وخرجت من المطعم تتمشى على كورنيش المرفأ، ثم جلست على أحد المقاعد الخشبية حيث اخذت تراقب حركة المرفأ والمارة حولها. اناس يسعون لمعيشتهم، ظاهراً، بينما تموج أنفسهم بأسرار شخصية لا تظهر للعيان.

كان القلق يتملكها لعدم تمكنها من اخبار كين عن اجتماعها مع شقيقته، ولكن ربما هي اعلم بشقيقها منها هي، فقد يتملكه الغضب العنيف إذا هو علم بأنها قامت بشيء لا ينبغي لها، خصوصاً وهي واثقة من صحة كلام جينا عن رغبته في حياة جديدة نظيفة.

مهما كانت حقيقة الماضي، فقد اصبح لدى جينا الآن فرصة لحياة افضل مع تريفور، ربما من الأفضل ترك كل شيء على ما هو عليه، إذ لم تكن ليزا ترغب في خلق المشاكل بين الاخوة، وما ينبغي عليها ان تفعل هو التركيز على زواجها من كين... هذا إذا شرع هو في إعطاء ذلك فرصة للنجاح.

نهضت واقفة وقد تملكتها الكآبة، ثم انطلقت إلى بيتها، عند ذلك فقط تنكرت أنها لم تسأل جينا عن السبب الذي جعلها تتصل هاتفياً بشقيقها، ربما كان شيئاً خاصاً بينهما، ولا علاقة لها به، ومع ذلك فقد كان من الصعب عليها فكرة ان على جينا أن تنبذ من الحياة المفروض ان تشترك فيها مع شقيقها، كان هذا يبدو لها بالغ الخطأ.

الفصل التاسع

بهتت الأسئلة المزعجة عن أسرة كين، وبشكل مفاجيء، لتتوارى في الظل عندما اكتشفت ليزا انها حامل، فقد اكتشفت التغيرات في جسمها بعد يوم واحد من مقابلتها جينا، وصباح الثلاثاء والأربعاء أخذ الغثيان يتملكها. ومن ثم اخذت فكرة انها حامل بطفل، تصيبها بالذعر.

لم تكن مستعدة للأمومة، فقد كانت فكرة إنشاء أسرة موافقة تماماً انما نظرياً. ولكن لدى مواجهة الواقع، شعرت ليزا بالخوف من العواقب. ذلك انها لم تكن تشعر في الحقيقة، بأنها متزوجة، وكين غائب طوال الوقت، ومع ذلك فقد يتمكن مجيء الطفل من ان يوثق العلاقات بينهما.

وما دام حدث هذا، فلا فائدة من عدم مواجهته حسب رأي ليزا، وهكذا اشترت اختبار الحمل، ومن الغريب انها شعرت بتوتر بالغ في انتظار النتيجة إلى ان ظهرت إيجابية، وإذا بها رغم كل شكوكها بالنسبة إلى مستقبلها مع كين، تتملكها البهجة والإنتعاش والعواطف الجياشة.

طفل... وطفلها هي... طفل كين، طفلهما هما الاثنين.

وكانت ما زالت تشعر بالدوار، محاولة استيعاب السعادة، عندما اتصل كين بها كعادته كل صباح، وركضت لتجيبه وقلبها يخفق بجنون وهي تفكر في إبلاغه بأنه سيصبح والداً.

هتف بها: «ليزا؟» وكان صوته غليظاً جافاً.

فقالت وهي تتنفس بسعادة: «نعم.»

«سآتي إلى البيت اليوم، وقد أصل إلى البيت قبل عودتك من العمل، وهكذا لا تقلقي إذا رأيت النور مضاء.»

أدار رأسها السرور، كين سيعود إلى البيت، وفي أحسن الأوقات، حتى دون انتظار عطلة نهاية الأسبوع، لم تشأ ان تخبره بحملها هاتفياً، كانت تريد ان ترى وجهه عندما تخبره عن الطفل، ويا لها من ليلة رائعة ستكونها الليلة المقبلة.

واندفعت تقول بفرح عنيف: «نعم، هذا رائع يا كين، هل كل شيء على ما يرام الآن؟»

سكت لحظة، ثم قال: «سنتحدث عن ذلك هذه الليلة يا ليزا.»

«لا استطيع الانتظار بعد كل هذا الوقت الطويل الذي غبت فيه عني.»

«نعم، هو كذلك.»

فقالت متوسلة: «لا تدع شيئاً يغير رأيك.»

«كلا، لن افعل.»

تنهدت بسعادة: «سأحاول ان اعود إلى البيت من العمل مبكرة، وسأطهي لك اطيب طعام تحبه.»

«ليزا...» وبدا في صوته توتر خفيف، وسمعته يتنهد. «انني اتطلع شوقاً إلى ذلك، يا ليزا، ولكن لا تزعجين نفسك كثيراً.»

قالت ضاحكة: «اتعني اننا لن نجد وقتاً نأكل فيه؟»

أجاب: «ربما لا.»

خفق قلبها توقعاً، لشد ما اشتاقت إليه. ماذا سيقول عندما يعرف انها حامل؟

«ليزا...» وكانت لهجته جادة للغاية.

«نعم.» لا شك انه يشعر نحوها بنفس شوقها إليه، ولكنه قال: «لا بأس، سأراك الليلة، إلى اللقاء الآن.»

وعندما ذهبت إلى العمل هذا الصباح شعرت بنفسها تطفو فوق السحاب، ففي كل مرة كانت تقف بسيارتها عند إشارة السير الحمراء، كانت تضع يدها على بطنها، ما أغرب شعور الأمومة والرغبة في الوقاية الذي اصبحت تشعر به الآن، هذا بينما السعادة تغمرها في نفس الوقت، وكان وصولها إلى مكان عملها دون حادث بمثابة عمل خارق، فقد كان تركيزها على قيادة السيارة مشتتاً إلى حد بالغ.

عندما رآها جاك كونواي، قال لها بلهجة جافة: «يبدو عليك التألق بشكل واضح، هذا الصباح يا ليزا؟»

أجابت بابتسامة مكتومة: «شكراً يا سيدي.» لم تستطع ان تخبره بالسبب، خصوصاً وهي لم تخبر كين بعد.

«لا بد ان الزواج ملائم لك، انك فتاة طيبة، يا ليزا.»

كان في هذه المجاملة المفاجئة من جاك كونواي ذي الصفات المميزة ما تركها لحظة عاجزة عن الكلام، بينما تابع هو يقول: «ثمة ميزة خاصة في ماريوت، وهو انه ينجح دوماً في ما يريد. ان وضعه في ملبورن صعب للغاية، ولكنه يتغلب على المحنة الآن، لقد قررنا إعطاءه مشروعي وينجيكامبل وجيسامين، ولن يصدر البيان في ذلك قبل شهر، ولكنني سأتصل به هاتفياً غداً، واتكلم معه بهدوء، فأنا أريده أن يسرع باستلام أعمالنا، وان يتوقف عن التماس مشاريع أخرى، وإذا كان لديه ما يمنعه من الالتحاق بنا، فهذا لن يكون في صالحنا.»

قالت بلهفة: «انني واثقة من تقديره لذلك، يا سيد كونواي.» ومنحته ابتسامة تتألق سعادة، فقد كانت تعلم كم تعني هذه المشاريع لكين، ومثل هذه الأخبار الطيبة عن العمل تتوج خبر مجيء الطفل ستجعل كين، دون شك في غاية السعادة، وعاد

جاك كونواي يقول وهو يغمز بعينه، مازحاً: «ان حكم ماريوت على الناس لا يخطىء أبداً، مثلي انا، والدليل على ذلك اختيارنا لك، نحن الاثنين.» وقهقه ضاحكاً.

تنهدت ليزا بأسى، فرغم سرور جاك كونواي بها، فقد كانت واثقة من ان مدير الشركة الدولية المختلطة. لن يعجبه منظرها حامل في جهاز السكرتارية، وهذا دون شك يعني نهاية عملها هنا، وعلى كل حال، ربما يصر كين على توقفها عن العمل، فهو لا يريد ان يجازف بابنه بأي شكل، اما ما الذي ستفعله بنفسها إلى ان يأتي الطفل، فلم يكن لديها فكرة. حدثت نفسها بأنها ستفكر في شيء مناسب، رغم انها ستفتقد ذهابها اليومي إلى العمل، ولكن من ناحية أخرى، اصبح لديها الآن مسؤولية اكثر أهمية.

عندما وصلت إلى البيت كانت الأنوار مضاءة، ولكن كين لم يندفع إلى الخارج لملاقاتها، ربما كان في الحمام، فهرعت داخلة من باب المطبخ ملقية بأكياس الخضار الطازجة التي اشترتها لتطهي العشاء، على المنضدة، وكان في طريقها إلى السلم من خلال غرفة الطعام، عندما رأت كين ينهض عن إحدى الأرائك الجلدية في غرفة الجلوس.

قالت بدهشة وهي تقف فجأة، وقلبها يخفق بالسعادة والبهجة: «انت هنا؟»

أجاب بلهجة متعبة تشوبها السخرية: «نعم، أنا هنا.» لم تبد في عينيه أي بهجة لرؤيتها، كان يبدو منهكاً بالغ الارهاق وقد برزت عظام وجنتيه لشدة النحول.

تلاشت بهجتها، كان ثمة أمر سيء وسيء للغاية. نظرت اليه وهو يتقدم نحوها، واحست بالتوتر الذي يتملكه.

سألها: «هل أمضيت يوماً متعباً؟»

أجابت: «كلا.» ولكنها كانت تعلم أنه لم يكن يستمع إليها، وأنه نطق بهذه الكلمات ليغطي بها أفكاره. فقد كانت في عينيه السوداوين نظرة هوجاء ثابتة.

قال لها وهو يمر بها: «سأحضر لك شيئاً تشربينه.» لكنه لم يتوقف ليرحب بها، وحدّقت هي في أثره غير مصدقة، وقد تملكها الألم، ما هذا النوع من الترحيب من هذا الرجل الذي غاب عن زوجته ثلاثة أسابيع؟ واستولى عليها قلق مخيف وهي تتبعه إلى المطبخ، لا بد ان كين في أزمة عميقة، ذلك ان أول ما تدفعه إليه طبيعته في أوقات الخطر هو الإنعزال عن الآخرين، إذ كان لا يطيق أحداً بجانبه، ذلك انه إذا كان ينحدر في الحياة، فكبرياؤه تريد منه أن ينحدر وحيداً.

نظرت إليه وقد جمد الدم في عروقها، لم تكن هناك مشاركة حقيقية بينها وبين كين، فهو يعينّ ما يمكن أن يشاركها به وما لا يمكن. كين ذو العزيمة المتينة، كين الذي لا يعرف حلاً وسطاً، فإما أبيض وإما أسود، اما الرمادي فلا مكان له عنده، فإذا كانت السفينة ستغرق، فهو أول من ينزل النساء إلى قوارب النجاة، دون اعتبار ما إذا كن يفضلن الموت مع ازواجهن الذين يحببنهم، ذلك لأنه لم يعرف الحب ولا يفهمه.

سألته بهدوء: «ما الذي حدث يا كين؟»

لوى شفتيه ساخراً وهو يقول متمهلاً: «آه، انها الأحوال عامة.»

شعرت ليزا وكأن قبضة حديدية عصرت قلبها، «ولماذا جئت إلى البيت إذن؟»

قال بعنف: «كان عليّ أن اتحدث إليك، ولم استطع ذلك في الهاتف.»

ارتفعت يد ليزا إلى بطنها وهي تفكر في ما ستخبره به وجهاً لوجه، ولكن من الواضح ان هذا الوقت لم يكن مناسباً لذلك.

وجاءها بكوب عصير، فأخذته من يده وهي تقبض اصابعها بشدة توقفهما بذلك عن الإرتجاف، نظرت إلى وجهه المتحجر، محاولة ان تتفحص عينيه السوداوين، ففشلت، وسألته بقدر إمكانها من الهدوء، مخفية بذلك مشاعر الإنزعاج التي تملكتها، سألته قائلة: «ما الذي تريد ان تحدثني شخصياً عنه، يا كين؟»

قال بسرعة وبلهجة بالغة الخطورة: «انني بحاجة إلى معلومات عن مشروع وينجيكاميل، يا ليزا، انني بحاجة إلى ان اعلم، بحاجة إلى ذلك الآن.»

انه لم يعد إلى البيت لأجلها إذن، لأن يكون معها، لقد عاد إلى البيت لأن عمله كان معرضاً للخطر بإمكانها ان تنقذه، وشعرت بالغثيان في معدتها، انه لم يستقبلها بالحب والتدليل، لأنها كانت ثانوية بالنسبة لما هو أهم لديه، فالأشياء المهمة تأتي أولاً.

حدثها عقلها بأن من الغباء ان تشعر بكل هذا الإستياء، فقد كان كين أخبرها بالحقيقة قبل ان يعرض عليها الزواج، وانه يقدم عمله عليها، ولكن معرفتها بذلك لم تمنع قلبها من ان يبكي بدموع من دم.

رفعت إليه عينين حمراوين اكتسبا لونهما من نزيف حبها: «ألهذا تزوجتني، يا كين؟ لكي تحصل على معلومات مني عند الحاجة؟»

كان الشك ساورها في ذلك عندما عرض عليها الزواج، ولكنها نبذت هذه الشكوك لأنها لم تشأ ان تصدقها، كما ان جاك كونواي قد ارتاب في ذلك هو أيضاً، وقد كان برد هذا الأمر بالنسبة إلى نفسه وهو يستغلها، ولكن ليزا قد اصرت على ان كين كان مختلفاً عن جاك كونواي. وانها كانت حقاً تعني شيئاً عند زوجها.

أخذت تراقب ما بدا على وجه زوجها من ردة الفعل لسؤالها هذا، وكأنها مجرد متفرجة تقريباً، توترت ملامحه، وبدا الغضب في عينيه، أم لعله الإحباط؟ وأحست بنفسها تموت في الداخل. وتخدرت حواسها، لم تستطع ان تعرف ما شعر به كين. وهل كان بإمكانها ان تعرف؟ في السخرية.

وانفجر بها ثائراً: «كفى هذا، يا ليزا، فهو لأجلنا معاً.»

ردت عليه ببرودة: «أحقاً، يا كين؟ يبدو انني أنكر بأنني زوجتك في السراء والضراء، كما يقول عقد الزواج، وبالنسبة إليّ لا يهمني سواء كنت ناجحاً في عملك أم لا.»

قال بعنف: «انك زوجتي، لقد تزوجتك لأنني أردتك زوجة لي، وانا اتوقع من زوجتي ان تقف بجانبي عند الحاجة إليها، فهل ما سألته هو كثير عليك؟»

كانت تعرف أنه يكره ان يطلب منها شيئاً، فهذا يمس كبرياءه، وهو ما كان ليفعل لولا حاجته إلى ذلك، وعند الجهاد في سبيل البقاء، ولكنه بالطبع كان يضع هذا دوماً في احتماله كسلاح إنقاذ، واخذت تفكر (بعد يوم واحد فقط. غداً من المفروض ان يتصل به جاك كونواي، ولو كان اتصل اليوم ما كنت سأعلم قط بأن كين قد تزوجني لأجل هذا الأمر. فيالها من سخرية مرة.)

قالت له بعنف: «لقد اعطيت جاك كونواي كلمتي بأنني لن اخبرك بذلك.»

«جاك كونواي؟ اتظنين ان وعدك هذا له يهمه بشيء لو انه استطاع تحويل الأمر إلى مصلحته؟ هذه لعبة يقوم بها المنتصرون يا ليزا، وجاك كونواي يعرف هذا، وانا اعرفها. وكل شخص يصل إلى مركز ما، يعرفها، وانت تعرفين كما اعرف، انه استخدمك كورقة لعب في يده.»

ضحك ساخراً، ثم تابع ببطء وهو ينظر إلى ليزا بسخرية: «كلمتك... أراهن على انه قد استمتع بهذا. انه يعشق ان تكون له سلطة القول نعم أو لا للرجال امثالي، اتعرفين لماذا يا ليزا؟»

كان هذا سؤالاً لا يحتاج إلى جواب، لم يكن بحاجة إلى تشجيع ليتابع قوله: «لأنه يحسدنا، لأنه لا يملك الشجاعة للخروج من تحت جناح الشركات الكبرى الواقي. آه، كلا، ان جاك كونواي يفضل الأمان.»

ثم عاد يواجه ليزا وعيناه تلمعان استهزاء: «ليس هناك سوى مشكلة واحدة معه، يا ليزا وهو انه لديه السلطة، ولكن ليس الربح، وهذا يؤلم جاك كونواي في الأعماق، انه لا يريد ان يلقي بنفسه في ميدان المغامرة ولكنه يكره نجاح أولئك الذين يفعلون ذلك، لأنه يعلم انهم يربحون اكثر مما يمكن ان يملأ جيوبه من وراء راتبه، بالرغم من مكانته الرفيعة.»

قد يكون ما يقوله كين، صحيحاً، ولكن حسب اعتبار ليزا، لم يكن لذلك علاقة بها، لم تكن تهتم بلعبة السلطة عند الرجال، فهي تهتم فقط بالزواج الحقيقي الذي لم تحصل عليه.

اصبح صوت كين الآن مقنعاً رقيقاً وهو يقول: «ألا

تظنين ان عليك ان تكوني اكثر وفاءً لي منك له، يا ليزا؟ انني تحت الخطر الآن، ومستقبلنا رهن الأحداث.»

حدثت ليزا نفسها تصحح كلامه، (ليس مستقبلنا وإنما عمله الغالي عليه. فإذا كان كين يحبها، لما كان مستقبلهما رهن الأحداث على الاطلاق، ذلك انهما كانا سيجتازان المحنة مهما كانت سيئة.

أجابته باكتئاب: «الموضوع، بالنسبة إليّ، لا يتعلق بالوفاء، يا كين، وانما هي الكرامة... كرامتي.»

صعد الإحمرار إلى وجنتيه، وازداد تألق عينيه وهو ينكر عليها قولها بعنف: «ليست هذه مسألة كرامة، فأنا لن استعمل المعلومات للإضرار بالشركة الدولية المختلطة. بأي شكل كان، كل ما أريده هو ان اعرف وذلك لأتمكن من التخطيط في أي ناحية أتوجه، فإذا كان مشروع وينيجكامبل لا يأتي إليّ، يا ليزا، فعليّ ان اتخذ خطوة يائسة لأنقذ ما استطيعه، ولكن إذا حصلت على المشروع، فسيكون لدي مجال لاتخاذ خطوة بارعة.»

عندما لم تتجاوب معه بسط يديه الاثنتين يناشدها ان ترى المنطق... وفكرت هي في ان كين يمكنه ان يجد منطقاً لكل شي. فالمنطق هو الذي جعله يقوم بكل ما قام به، حتى الزواج منها، ذلك المنطق الجامد عديم الشعور.

«ليزا، لقد صدر القرار. لا بد انه صدر الآن، ولم يبق سوى صدور بيان بذلك من الشركة عن الجهة التي ستعطي العقد. ولن يشكل هذا، بالنسبة إلى الشركة أي فرق فيما لو عرفت ذلك الآن، لا فرق مهما يكن.»

كان منطقاً هادئاً واضحاً أسكت نقاشها عن الكرامة

لينفذ إلى قلبها، مباشرة، ليقتل كل رجاء في ان يحبها، واخذ هو يتقدم اليها ومازال باسطاً ذراعيه وقد تعمد تلطيف أساريره وهو يسألها برقة: «هل اطرد عمالي أم احتفظ بهم، يا ليزا؟ هنالك اعمال كثيرة يمكنني القيام بها إذا حصلت على مشروع وينجيكامبل، وبعكس ذلك لا استطيع، وستدب في اعمالي فوضى إذا أنا طردت عمالي، ثم اصبح عليّ ان أعود لاستئجارهم.»

كان مايزال يتقدم نحوها، ورأت هي انه سيحاول اقناعها جسدياً، ورأت في هذا منتهى النفاق، فهو لا يحبها. انه لم يدع مشاغله جانباً ليستقبلها كما يستقبل الرجل عروسه بعد فراق ثلاثة اسابيع، حتى ولو للحظات قليلة.

وهكذا رمقته بنظرة تحذير قاسية وهي تقول: «إياك ان تفعل، يا كين.»

قطب جبينه: «ان افعل ماذا؟» ولكنه كان يعلم، فوقف جامداً، وعيناه السوداوان تخترقان عينيها بقوة وإلحاح، ملتمساً أي مشاعر ضعف فيها، كما ظنت ليزا، كلا ليس هذه الليلة يا زوجي العزيز، حدثته بذلك بصمت، وهي تشعر بأن قلبها الجريح ليس لديه القوة التي يسيطر بها على عقلها، هذه الليلة.

سألته ساخرة: «لماذا تحملت عناء المجيء إلى بيتك؟ لماذا لم تسألني في الهاتف هذا الصباح؟ من المؤكد ان هذا افضل عملياً واقتصادياً.» فعبس وبدا عليه مزيج من الضيق واليأس.

«ما كان هذا ليعجبك، يا ليزا؟»

«وكذلك لم يعجبني غيابك عني ثلاثة أسابيع يا كين. ولكن هذا لم يجعلك تأتي إلى البيت لليلة واحدة، واظنك جئت الآن لليلة واحدة، ان عليك ان تعود غداً.»

«نعم، اما بالنسبة لعدم مجيئي قبل الآن، فقد شرحت لك الوضع، يا ليزا.»

فأومأت: «العمل أولاً، كالعادة على الدوام، وهذا لن يتغير، أليس كذلك، لقد جئت إلى البيت لأجل عملك...»

قاطعها بحزم: «بل (عملنا)، يا ليزا.»

مد يده إلى وجهها، فتراجعت إلى الخلف، وقد اشتعلت عيناها برفض عنيف، «إياك ان تلمسني، يا كين، انك لم تأت إلى البيت لأنك اشتقت إليّ، فإياك ان تقدم على شيء، وإلا انتهى كل شيء بيننا، وان كنت اظن ان كل شيء قد انتهى، على كل حال، ولكن إذا كنت ترجو خيراً من وراء هذا الزواج، فلا تستعجل لأنه على شفا الهاوية، مثله في ذلك عملك الغالي.»

توترت ملامحه، والتمعت عيناه بكبرياء عنيفة: «ماذا يعني هذا؟ لقد طلبت منك العون، فإذا به يصبح نهاية زواجنا؟»

«لقد كنت تكره هذا، أليس كذلك؟ انك تكره ان تطلب عوناً مني.» وكان هذا منها اتهاماً مراً.

فقال: «نعم.»

«ان الزواج هو مشاركة ياكين، مشاركة في الحلو والمر.»

أجاب باستياء: «أليس هذا ما افعله معك الآن؟»

«هذا بداعي الضرورة فقط، لكي تنقذ عملك.» فصاح وهو يضرب المنضدة بقبضته: «قولي (عملنا).» ثم تمالك نفسه وهو يتابع قائلاً بصبر نافد: «كم من المرات عليّ ان اقولها؟ ان هذا يؤثر على مستقبلنا، يا ليزا، لا تهتمين بهذا الأمر قدر اهتمامي به؟»

فصرخت: «نعم، اهتم، اهتم كثيراً جداً.» واغرورقت

عيناها بالدموع. «لقد اعطيت كلمتي تعهداً لجاك كونواي، تماماً كما كنت اعطيتك كلمتي تعهداً، يوم الزفاف، يا كين، فإذا كنت لا أفي بعهد واحد، فما نفع عهودي الأخرى؟ ماذا تعني الثقة إذا لم تكن شاملة؟ كنت اظنها تعني شيئاً لك، لكي يمكنك ان تثق بي حتى..» واختنقت الكلمات في حلقها.

فقال ضارعاً: «ليزا.» ثم هز رأسه وقد بان عليه العذاب. «انني بحاجة إلى ان اعلم..»

فكرت ببلادة في انه سيعلم غداً، وبإمكان ذلك ان ينقذ عمله الهام للغاية.

قالت والبرودة تسري في جسمها: «عد إلى ملبورن يا كين، مازال بإمكانك ان تأخذ الطائرة الليلة.»

لم تكن تطيق البقاء معه لحظة واحدة بعد الآن، واستدارت على عقبيها متجهة نحو السلم وساقاها ترتجفان.

«ليزا...»

تجاهلت الضراعة الخشنة في صوته، لم تكن بحاجة إلى مزيد من الكلمات منه، لم تكن تريدها، فقد فهمت كل شيء الآن، وهذا الفهم جعلها تشعر باشمئزاز لم تشعر بمثله في حياتها، ناداها مرة أخرى بعنف: «ليزا...»

تحركت معدتها، كانت على وشك التقيؤ فاستطاعت بعد جهد ان تسرع في خطواتها، كان عليها ان تصعد السلم إلى الحمام قبل ان يلحق بها الخزي، لقد أبت عليها كرامتها ان يراها كين في محنتها، وناداها مرة أخرى، ولكنها كانت قد وصلت إلى الحمام أمامه فدفعت الباب ثم اقفلته خلفها وقد تملكها الذعر. ثم اخذت تقيأ إلى ان افرغت معدتها من كل محتوياتها.

سمعت طرقات كين على الباب وهو يناديها، ولكن مهما كان يقول، لم تستطع سماعه للدويّ الذي كان في اذنيها، وكان جلدها مبللاً بالعرق، وخافت ان يغمى عليها، فجلست على حافة الحوض وهي تغالب الدوار.

كان ثمة دفع عنيف للباب إلى ان خلع القفل فانفتح الباب ليدخل كين منه ووجهه اسود وجسده بأجمعه تتملكه المشاعر الصاخبة، بينما تشتت عقله.

صاح بها: «إذا لم تشائي ان ألمسك، فهل تظنين انني سأفعل ذلك؟ ليس ثمة حاجة لإقفال الأبواب بيننا، ولن يكون أبداً إقفال ابواب في حياتنا الزوجية، ما الذي تظنينه...»

وسكت فجأة وهو يرى شحوب وجهها الهائل وترنح جسمها، وسرعان ما تحول صراخه الغاضب إلى لهجة ترتجف بالاهتمام: «ليزا، ان مظهرك.. لماذا لم تخبريني بأنك مريضة؟»

رفعت إليه عينين كئيبتين متبلدتين: «يبدو ان هذا من اعراض الحالة.»

هز رأسه دون ان يفهم شيئاً: «ما الذي تتحدثين عنه؟»

فالتوى فمها بسخرية، يا لها من طريقة تخبره بها... دون بهجة ولا سعادة تتطلع اليها، كان الأمر مجرد إيراد أمر واقع.

«إنني حامل.»

رأته يدرك ان هذا ما كانت تريد ان تخبره به هذه الليلة، ولكن انشغاله بمشاكله لم يتح لها فرصة الإفضاء إليه. وبدا على ملامحه ندم مبرح، ربما كان حصوله على إبن هو اكثر أهمية من عمله اللعين، كما رأت ليزا، ولكن ليست هي، فهي

ليست بذات اهمية لديه، فهي مجرد وسيلة لما يريد، الإبن والعمل، عمله، والحياة الجديدة المشرقة التي يريدها لإبنه.

تقدم وجلس بجانبها، وقد امتلأت عيناه بالألم، ثم قال بصوت خافت شجي: «انني آسف، يا ليزا، لقد أفسدت بشارتك هذه، أليس كذلك؟ اخبريني كيف اصلح ما فعلت.»

قوّض هذا ما كان بقي لديها من سيطرة على نفسها، إذ كانت من الضعف بحيث اغرورقت عيناها بالدموع، لم تستطع ان تتكلم. وشعرت بغصة في حلقها وقد تلهف كيانها إلى الحب الذي كانت تريده منه.

لم ينتظر كين جواباً، فحملها بين ذراعيه بكل رقة وحنان، إلى غرفتها حيث مددها برفق وحذر على الوسائد، ثم غطاها باللحاف جيداً، ثم احضر منشفة مسح بها جبهتها المبللة، وبعد ذلك صنع لها كوباً من الشاي وشجعها على أن تشربه، ثم طهى لها وجبة طعام خفيفة من العجة واحضرها اليها على صينية حيث اخذ يراقبها بقلق واهتمام وهي تبذل جهدها في الأكل.

اخذت تتأمل ساخرة وهي ترى تمريضه لها، متذكرة سخريته من تريفور وودبري الذي يقوم بمثل هذا العمل بالضبط نحو شقيقته جينا، ولكنها ما لبثت ان تذكرت ان كين لم يكن يمرضها هي، وإنما طفله منها الذي في احشائها، اما هي فمجرد المرأة التي ستنجبه، ام طفله، ولهذا عليه ان يعتني بها.

ومع ذلك فقد كان بالغ الندم، بالغ الاهتمام وكانت ليزا من الجوع إلى شيء من الاهتمام منه بها، بحيث تقبلت كل ذلك منه، حتى انها لم تعارض حين تمدد بجانبها، ومن خلال الظلمة تمتم يقول: «ليزا، انك كنت على حق، ما كان لي ان اطلب منك

خيانة ثقة أي شخص فيك، فلو لم تكوني بهذه الصفة... ان هذا في منتهى الأهمية بالنسبة إليّ يا ليزا، ارجوك لا تظني انني لا اقدرك حق قدرك، لا يوجد سواك أثق به...»

كاد قلبها يتحطم من فيض العواطف المتدفقة في حديثه، لم تستطع ان تتكلم. فقد كان ارتياح مشاعرها عميقاً. قد لا تحصل على حبه، ولكنها على الأقل اكتسبت ثقته واحترامه لها، اما هذا الجنين في احشائها فهو طفلها كما هو طفله، وقد استقر في احشائها، وانتهى الأمر، وهكذا فات الأوان لكي تنقض تعهداتها الزوجية رغم ان كين لا يحبها، ولكن كان من السهل ان تنسى، وهي بقربه، ما لم تحصل عليه، فهو مازال زوجها على الأقل، وهي امرأته، وهذا لا يمكن ان يؤخذ منها، كما اخذت ليزا تفكر، ما اثلج صدرها وجعل الرضا يغمرها، اما لماذا احبت كين إلى هذا الحد، فهذا ما لم تكن تعرفه، وتساءلت عما إذا كانت جينا تعرف لماذا تحب أخاها، ام لعل الحب لا تعليل له على الاطلاق.

(كان عليّ ان أحمي كين...)

تجاوبت كلمات جينا هذه في ذهن ليزا فمنعها ذلك من النوم. وأشرق في ذهنها بغتة ان الحب يقلل من الخيارات، موجوداً سيطرة تقلص اهتمامات الانسان إلى شيء لا معنى له، جوهره الكلي هو في العطاء، وعدم اعتبار مشاعر المحب الخاصة.

ما كانت جينا لتبقى مع والدتها وزوج والدتها لو لم يكن لديها سوى نفسها تهتم بها، لم يكن ذلك ضعفاً منها... كلا! فقد لمحت ليزا القوة في اعماق جينا، القوة التي كانت وليدة الحب، والذي يتحمل كل ألم إذا كان في هذا حظ افضل للشخص الذي تحب.

كان كين قد قدم مثل هذا الحب لشقيقته، فقد كان مستعداً للتخلي عن تعليمه لأجلها، ولكن جينا كانت فضلت ان تضحي بنفسها على ان تدعه يفعل ذلك. وقد حطمها هذا، وجعلها تفقد شقيقها الذي تحب لأنه لم يفهم تضحيتها، وإلا لكان قابل ذلك بالرفض وما كان ليقبل تلك المحنة المأساوية من الحب، لو كان يعلم.

ربما المرأة المحبة فقط من تفهم ذلك... امرأة عرفت ان الحب هو عطاء، وكان هذا هو السبب في ان جينا توقعت منها ان تفهم.

وفهمت ليزا.

وحيث ان كين لم يعد يريدها ان تضحي بكرامتها، فلديها شيء تريد ان تعطيه له دون خيانة لأي ثقة.

«كين؟»

«نعم.»

«قال جاك كونواي انه سيتصل بك غداً، انه لم يطلب مني ان اعده بألا اخبرك بذلك، ولهذا الأفضل ان تستقل أول طائرة في الصباح، فتكون هناك لتستقبل الهاتف، انه... انه هام بالنسبة اليك.»

«اتعنين انني... سأعلم ما افعل برجالي غداً؟»

«نعم، ولكن الأفضل ان تتصرف وكأنك لم تكن تعلم بأن المكالمة الهاتفية قادمة.»

ساد صمت قصير قال بعده: «ليزا صدقيني، لن افعل قط، متعمداً، أي شيء يسيء اليك.»

كان في صوته نبرة عميقة من الاخلاص، وقد صدقته ليزا، ذلك ان كين لا يمكنه ان يغير طبيعته، ولكنه حقاً، لم

يتعمد الإضرار بها، فقد كانت زوجته، وهذا يعني شيئاً كثيراً بالنسبة إلى كين، كما ادركت ليزا بفيض مفاجيء من الرضى، وإنما هو فقط لا يعلم... أو يفهم... بعض الأشياء كما حدث مع جينا...

كان من الخطأ ان تعاني جينا من جفاء ومقاطعة شقيقها لها فوق كل ما عانته من آلام، واقسمت ليزا بينها وبين نفسها، ان تصلح بشكل ما، هذا الأمر انها الآن ستنجب لكين طفله، وستحاول جهدها ان تجعل كين يعطي شقيقته العدالة التي تستحقها، وهي لن تدعه يلغي شقيقته من مستقبلهما، فقد اكتسبت جينا مكانها في أسرتهما.

العدالة، ينبغي ان يكون هناك عدالة، وهذا ما فكرت فيه ليزا، وقد لا يفهم كين ابداً الحب، ولكن لديه تقدير بالغ للعدالة.

الفصل العاشر

قام جاك كونواي، في اليوم التالي، بكل الإتصالات الهامة، وبعد ذلك اتصل كين بليزا لكي يشاركها الخبر السار، ويخبرها بأنه سيعود إلى البيت لقضاء عطلة آخر الأسبوع، وبالنسبة إلى ليزا، كانت عطلة الأسبوع تلك بمثابة شهر عسل ثان، فقد نال كين ما يريده، وذلك بالنسبة إلى عمله وإلى حصوله على أسرة، وكان هذا قد احدث في زواجهما تغييراً بالغاً، اما الطريقة التي أخذ كين يعاملها بها، فقد كانت بالضبط، هي ما تحلم به كل امرأة من زوجها.

وكما كانت ليزا تتوقع، فإنها لم تستطع الاحتفاظ بعملها مدة طويلة، ومع ان كين قال لها ما لم تكن تتوقعه، وهو ان تفعل كل ما يجعلها تشعر بالسعادة، فإنها لم تشعر بأنها من الصحة بحيث تمنح عملها العناية اللازمة، وهكذا قدمت استقالتها بعد اسبوعين فقط من علمها بالحمل، وعندما علم جاك كونواي بسبب رغبتها في الاستقالة، هنأها بشيء من الأسف وتركها تذهب دون التمسك بشروط العقد الذي بينهما.

غالباً في الصباح، كانت ليزا تعاني من الغثيان، والدوار اثناء بقية النهار. وقد أوصتها والدتها بأن تتناول فنجان شاي وقطعتين من البسكوت قبل ان تترك الفراش في الصباح، وهكذا خلصها هذا من أسوأ عوارض الغثيان، اما الدوار فقد كان مماثلاً لذلك الغثيان الذي كانت تشعر به في

طفولتها عندما كانت تستقل السيارة، وما لبثت ليزا ان وجدت في حبوب الحلوى بعض الفائدة.

اشترى لها كين الكثير منها حتى خيل إلى ليزا انها تكفيها لعدة مرات من الحمل، ولكنها لم تستطع قبول مبالغته هذه دون تذمر، فقد كانت هذه طريقته في العناية بها كأفضل ما يستطيع. وعندما يكون في البيت، كان يحضر اليها في الفراش كل صباح، الشاي والبسكوت.

لم تستطع إلا ان تتذكر كيف ان كين اخذ يتهكم مرة لفكرة إحضار فنجان قهوة اليها كل صباح، قائلاً ان هذه ليست فكرته عن الحب، ولكن صحتها اصبحت الآن همه الأوحد، ولكن ليزا لم تخدع نفسها بأن ذلك كان من مظاهر حبه لها، فقد كانت تعلم ان كل هذا لأجل الطفل الذي كانت حامل به، الطفل الذي ستصبح ولادته بشرى سارة بحياة كين الجديدة النظيفة.

ومع ذلك، لم تدع هذا يشغلها كثيراً، ذلك انها الآن تعيش في نعيم من اهتمام كين ورعايته المحبة حتى ولو كان ذلك سينتهي بعد ولادة الطفل مباشرة، وربما حينذاك سيكون قد ابتدأ كين يحبها لنفسها وليس فقط لأنها أم ولده.

لم تنس ليزا جينا، فقد بقيت المشكلة في ذهنها، تنتظر الحل عندما يحين الوقت. وبقيت تفكر في كيفية جنب جينا وتريفور للانضمام إلى أسرتهما، ولكنها كلما فكرت في ذلك، تبرز المشاكل، ما يجعلها تدع هذا الأمر جانباً، فالعدالة لا تجلب دوماً السعادة.

لم يكن تريفور من النوع الذي ينسجم معه كين، ولم تستطع ليزا ان تتصورهما صديقين، وعدا عن ذلك، فقد رأت

ليزا كم كان المستقبل مؤلماً لهما هما الاثنين، وتبادل الزيارات بينهما قد يجدد لديهما تلك الذكريات والتي لا يرغب فيها أي منهما.

كانت جينا سعيدة مع تريفور، كما ان كين سعيد مع ليزا حالياً، فلتدع الأمور هادئة إذن، كما كانت ليزا تحدث نفسها، وما حدث بين الاخوة هي أمور لا علاقة لها هي بها، وساورها الشك بما لو ان احداً منهما سيشكرها لتدخلها هذا.

كانت ليزا في شهرها الرابع عندما توقفت اعراض الحمل، من غثيان ودوار، وعادت صحتها جيدة كما كانت من قبل، وقام طبيبها بإجراء فحص عام عليها وعلى الجنين، فكان كل شيء على ما يرام. ما جعل كين سعيداً طوال النهار.

واثناء العشاء تلك الليلة بالذات، وكين مازال ضاحكاً مبتهجاً، فكرت ليزا في إعادة جينا إلى ذهنه مرة أخرى، لقد كان من الطبيعي بالنسبة اليها، ان تشارك اسرتها كل خبر طيب ما جعل الكلمات تنزلق من بين شفتيها قبل ان تمنعها الحكمة من هذا الاندفاع.

«لا بد ان شقيقتك تحب ان تعلم بالأمر، يا كين فلماذا لا تتصل بها و...»

وإذا بالتغير الذي طرأ على ملامحه، يسكتها على الفور، فقد عبس في وجهها قائلاً: «ليس لجينا أي دخل في حياتنا معاً، يا ليزا.» وكان صوته وهو يقول ذلك، منخفضاً خطراً.

شعرت ليزا بالدم يتصاعد إلى وجنتيها حينما اخذت الحاجة لحماية سعادتها مع كين تتعارض مع عطفها على شقيقته، وحدثها المنطق بأن تتراجع وبسرعة... ولكن...

«لقد كانت اتصلت إلى هنا عندما كنت أنت في ملبورن، وكان الأمر محرجاً بالنسبة إليّ، فقد كان عليّ ان اوضح اننا متزوجان و...»

فقاطعها قائلاً: «ما الذي جعلها تتصل؟»

«لا أدري، ألم تتصل بك منذ ذلك الحين؟»

«منذ متى كان ذلك بالضبط؟»

«بعد أربعة اسابيع من زواجنا، انني اتذكر ذلك لأنها سألتني.»

فهز رأسه قائلاً بحدة: «لم اتحدث مع جينا منذ العيد الماضي.»

«آه.» وازداد شعور ليزا بالألم بعد ان أدركت سبب لهفة جينا إلى التعرف إليها، فقد تغلبت الرغبة في ذلك، بالنسبة إليهما هما الاثنين، على الفطنة والحذر. وشعرت ليزا بقوة ترغمها على الاعتراف لكين بما فعلت، فقد كان الافضل ان يعرف الآن من ان يعرف فيما بعد فيظن انها كانت تصرفت من وراء ظهره، فتابعت تقول: «لم أكن اعلم انكما لم تكونا على اتصال إلى ذلك الحد، لقد طلبت مني جينا إذا كنت أرضى بتناول الغداء معها، فقبلت.»

التوى فمه بغضب عنيف: «أريد ان اعلم ما الذي جعلك تقبلين؟»

لم تره محقاً في قطع علاقته بقريبته الوحيدة، هذا أولاً، ثم إرغامها على ذلك هي أيضاً، لقد جعلها في وضع لا يطاق، لقد كانت ليزا من الوجهة الانسانية، على حق في عملها هذا، ومهما كان رأي كين في ذلك، إلا ان ليزا لم تندم لهذا العمل، وهكذا واجهته بثبات، ثم اخذت تعدد اسبابها: «لأنها طلبت مني ذلك، ظننتها بحاجة إلى معونة، ثم هي

شقيقته، وقد شعرت بالذنب إلى حد هائل لأننا لم ندعها إلى حفلة الزفاف، وكذلك تملكني الحرج لأنها لم تعرف بزواجنا. ولهذا لم اجد ضرراً في الاجتماع بها، لقد أردت ذلك حقاً.»

فقال ساخراً: «لا بد انك استفدت كثيراً من وراء هذه التجربة، وأرجو ان تكوني قد أشبعت فضولك الآن.» كان كين ممتلئاً مرارة مما لحق بأسرته من عار. ومجرد تذكيره بذلك كان ينكأ جراحه، وهكذا آثر دفن الماضي وعدم نبشه بأي شكل كان، ولم تعرف ليزا ما عليها ان تفعله.

فقد كان اصدر حكمه على ما يجب ان يكون، وانتهى الأمر.

اما ان كان على خطأ أم على حق، فهذا ما لم تعرفه ليزا، ولكنها لم تستطع ان تمنع نفسها من الشعور بأن هذا ليس عدلاً، فاغرورقت عيناها بالدموع، يبدو انها قد اصبحت مرهفة المشاعر هذه الأيام، وربما هذا يتعلق بعدم توازن الهرمونات في جسمها، كما كان اخبرها الطبيب، لم تكن تريد مجادلة كين، وهكذا نهضت متثاقلة واخذت تجمع الأطباق عن المائدة.

اندفع كين واقفاً، واخذ الأطباق منها، ثم وضعها بعنف على المائدة، نظرت إليه وقد تملكها الانفعال، فاحتضنها وهو يقول: «انني آسف، فقد جرحت إحساسك، بينما انت منحتني افضل يوم في حياتي.» ثم مد يده يمسح دموعها من على خديها، وهو يبتسم آسفاً: «ليس الأمر بهذه الأهمية، يا ليزا انني اعرف ان نيتك كانت حسنة.»

قالت وقد تملكتها غصة: «كين.. انني اعلم ان هذا ليس من شأني، ولكنني رأيت جينا فتاة حلوة للغاية، فقد كانت

سعيدة لأنك وجدت من ترغب في الزواج منها، ويبدو انها تدرك انك لا تريدها في حياتك، وكانت حزينة جداً لذلك. لقد رأيت ان عليها ان تعلم بمسألة الطفل، وإذا كنت لا تريد ان تخبرها...» هزت رأسها عندما ازدادت دموعها انهماراً.

ومرة أخرى قال لها برقة: «لا تبكي يا ليزا، إذا أردتني ان اخبر جينا، فسأخبرها.» واخذ يمر بيده على شعرها ملاطفاً، بينما كانت هي تجاهد في سبيل تمالك نفسها، بينما كان يتابع قوله. «عليّ ان اتصل بها، فقد تكون بحاجة إلى شيء. وسأتصل بها الآن إذا شئت.»

فهتفت تقول: «نعم، إذا لم يكن لديك مانع، لم اكن اقصد التدخل، يا كين.»

«لا أظن ان بإمكانك تفهم هذا الأمر.» قال ذلك بشيء من الألم. «فهذا ليس جزءاً من عالمك، انني لا أريد ان يكون هذا الأمر جزءاً من عالم أحد.»

فهمست: «أنا آسفة.»

«لا تقلقي بالنسبة لهذا... عليك ألا تقلقي لأي شيء.» وأجلسها على كرسي، قائلاً: «سأحضر لك فنجان شاي، فاجلسي وهوني عليك الأمر يا ليزا.»

جمع الأطباق ثم توجه بها نحو المطبخ، ولم تعترض ليزا، شاعرة بأنها ترتجف بشكل سخيف، رأت القوة تنقصها بشكل كامل، رغم ما كانت قالته جينا عنها، ولكن الحمل ليس أمراً سهلاً، فهو اذا لم يحدث الإضطراب في جسمها، فهو يحدثه في مشاعرها، ولكن سرها ان أثار هذا عواطف كين، ما احدث التوازن بينهما.

احضر لها فنجان الشاي، ثم توجه إلى الهاتف مباشرة.

لم تشعر ليزا بأي خزي في الاستماع إلى ما اخذ كين يتحدث به في الهاتف، مهما كان شعور كين نحو جينا، إلا ان نبرة الزهو كانت بارزة في صوته وهو يخبرها بأن ليزا حامل.

لقد كان كل ما يهم كين هو ان يكون له ولد من لحمه ودمه، وقد اصبح الآن هذا الجنين الذي في احشائها، شخصاً حقيقياً، بالنسبة إليه.

ساد صمت طويل أثناء جواب جينا، ومهما يكن طبيعة ما قالته فقد ترك ذلك تأثيراً ملحوظاً على ملامح كين وهو يقول بصوت أجش: «شكراً يا جينا.» ثم تنحنح قبل ان يسألها عن السبب الذي كان جعلها تتصل به عندما كان هو غائباً.

مضت عدة دقائق لم يتخللها سوى كلمات لا معنى لها في محاولة منه ليقطع حبل حديثها الطويل ولاحظت ليزا ان ما كان يسمعه، لم يعجبه، وسمعته يقول اكثر من مرة كلمة (نعم) ثم ما لبث ان أوقف المخابرة.

نظرت إليه مستطلعة، ولكن كين كان هائماً في عالم آخر، وأدركت ليزا على الفور ان هناك أمراً مزعجاً، فقد كانت ملامحه متوترة، وعيناه بحيرتين سوداوين لا يسبر غورهما، بينما العنف يتفجر من كل خلية في جسمه.

ثم قال لها: «ان عليّ ان اخرج الآن، يا ليزا.»

«ما الأمر، يا كين؟ ماذا حدث؟»

«لم يحدث أي شيء سيء. ان هناك شيئاً عليّ ان أتأكد منه.» ثم توجه ليخرج، وهو يقول: «لا تنتظرني، فأنا لا اعرف متى أعود.»

قالت وقد أدركت ان الأمر يتعلق بجينا: «اتريدني ان آتي معك؟»

فقال بحزم: «كلا.» وتقدم اليها وضغط على كتفها يطمئنها: «انتبهي إلى نفسك.» ثم خرج دون كلمة أخرى.

قد لا يكون هذا شيئاً يتعلق بها، ولكن هذا لم يمنعها من الشعور بالقلق الشديد، فهذا الأمر الذي صرف أفكار كين عن الطفل المقبل، لا بد ان يكون مشكلة كبرى، ولكن كين قد انكر ان ثمة أمراً سيئاً، وكين لا يكذب، وتمنت ليزا لو انها لم تتحدث عن جينا هذه الليلة، فقد أفسدت بذلك الليل والنهار.

بالرغم من تعليمات كين لها بألا تنتظره، فقد حاولت ليزا ذلك إلى ان لم يعد بإمكانها ان تفتح عينيها.

كان الحمل يفسد عليها نظام نومها، فكانت تستيقظ مراراً اثناء الليل شاعرة بالحاجة إلى الذهاب إلى الحمام.

وعندما استيقظت، والساعة تشير إلى الثانية والثلث تقريباً بعد منتصف الليل، لم يكن كين قد عاد بعد، فذهبت إلى الحمام، ثم شعرت بقلق وانزعاج لتأخر كين، ما منعها من العودة إلى سريرها، فهذا لم يكن تأخراً عادياً قط، وضعت على جسمها معطفها المنزلي ثم نزلت إلى المطبخ لتسخن شيئاً من الحليب، ولتجلس بعض الوقت، ولا بد اثناء ذلك ان يعود كين.

لكنها سرعان ما اكتشفت انه ليس في الخارج على الاطلاق، فقد كان في غرفة الجلوس وامامه الشراب، لم يسمعها وهي تهبط السلم، ذلك انه كان مستغرقاً كلياً في عالم كئيب خاص به.

كان التوتر يتملكه، وكأنه كان متلهفاً إلى القتال ولكن كان يمنعه من ذلك شيء في خياله، وكان العبوس في وجهه نتيجة احباط مر. نادته ليزا برقة شاعرة بشيء من الخوف

من هذا العنف الذي يبدو عليه، راغبة في جره اليها وإلى العالم الذي يتشاركانه.

قالت له برقة فائقة: «كين؟»

رفع بصره اليها فجأة، وعبس في وجهها: «لماذا أنت لست في سريرك، يا ليزا؟»

«لقد استيقظت فلم اجدك، فتملكني القلق.»

«ليس ثمة ما يدعو إلى القلق، فأنا لم اشعر بالنعاس بعد، وهذا كل شيء.»

نهض متثاقلاً، ثم وقف يقول: «هل احضر لك شيئاً؟»

فهزت رأسها، ثم تقدمت منه بحركة غريزية وهي تقول: «ماذا حدث يا كين، أرجوك ان تخبرني.»

ضحك باستخفاف وهو يقول: «لا شيء هناك، وإنما اخبرتني جينا بخبر طيب.» ولمع في عينيه ألم لم يستطع إخفاءه. «اتريدين ان تسمعي الخبر الطيب يا ليزا؟»

فأومأت وهي تجلس بجانبه محاولة ان تساعده بشيء ولو بلمسة على يده لجعله يشعر بوجودها لأجله، ولكنه لم يعد إلى الجلوس مرة أخرى، وإنما سار إلى المدفأة وقد بان عليه الإضطراب. حيث اتكأ على رفها وقد التوت ملامحه بسخرية وحشية وهو يقول: «ان تلك الأعذار لمن كانا يدعيان انهما والدانا، لم يكونا والدينا حقاً، فأنا وجينا ولداهما بالحضانة، وهي ليست شقيقتي، أيضاً، فلا يوجد علاقة دم بيننا.»

كانت ليزا تستوعب صدمة ما قاله، عندما اطلق هو ضحكة أخرى خشنة: «كنت دوماً أظن ان هذا احد تخيلات جينا، وانه شيء أرادت ان تحمل نفسها على الإعتقاد به،

ولكنه صحيح، ذلك ان تريفور لديه الآن كل الأوراق التي تثبت ذلك، فقد استطاع التوصل إلى الملفات من خلال عمله، بعد ان صدق تصريحات جينا، وكان محقاً في تصديقه لها.»

ومنح ليزا ابتسامة ملتوية: «لقد كانا تصلا على البرهان عندما حصلا إلى هنا وعرفا بأمرك. قالت انها أدركت حينذاك رغبتي في ان اقطع كل علاقة لي بالماضي، وهكذا فكرت بأن من الأفضل ألا تأتي على ذكر هذا على الاطلاق. ولكنها الليلة عندما اخبرتها عن الطفل، رأت من المهم بالنسبة إليّ أنا عرف ان طفلنا لا يربطه الدم بأولئك الحيوانات.»

ورفع كوبه ساخراً: «فليفرح العالم، فهو الآن اكثر نظافة، وهذا هو الخبر الطيب.»

ولكن لم يكن يبدو عليه أي فرح، فهو لم يشعر على الاطلاق بأنه اصبح انظف، فقد اصبحت الكراهية التي يحملها لوالديه المزعومين، اكثر عمقاً، ما صبغ كل شيء بالسواد. ونظرت هي إليه دون ان تقول شيئاً، لقد كان كين غاية في الألم.

«لقد انهى تريفور وجينا كل شيء... وأخيراً... نعم، أخيراً وضحت الأمور، البروفيسور ماريوت المشهور واللامع قد اختارنا لنكون موضوعين هامين للدراسة، مجموعتين مختلفتين من الجينات الوراثية ذات مزايا متعارضة، فأنا بطبيعة الحال، عدواني، وجينا سلبية. ما يشكل مجموعتين وراثيتين متضادتين... شيئين للدراسة والاختبار لرؤية ما سيحدث. هذا كل ما كنا نمثله، يا ليزا... حيوانات مخبرية.»

اطلق صوتاً يعبر عن الإشمئزاز والمرارة وهو يرجع

رأسه إلى الخلف وكأنه يصيح محتجاً على الحظ الذي وضعهما بين أيدي امثال اولئك القساة، وتابع يقول: «ان مجرد تفكيري في انني اخذت اتوسل إلى ذلك الوحش الرهيب لكي ينقذ جينا...»

نظر إلى ليزا، وكانت عيناه نافذتين تتدفق منهما آلام دون نهاية. «لم يهتم بإنقاذها، لقد اخبروها بدلاً من ذلك، بأنها إذا هربت، فأنا الذي سأعاني بسبب ذلك، وهذا هو السبب في انها بقيت واخذت ما كانوا يقدمونه لها... وكنت انا ألومها لذلك، يا ليزا، لقد ثار غضبي عليها لإظهارها كل ذلك الضعف.»

أومأ برأسه والعذاب يحطم قلبه: «ضعيفة... آه، تباً لذلك.»

قالت تخفف عنه: «وكيف كان لك ان تعلم ذلك يا كين؟ يبدو انهم قد تلاعبوا بمشاعركما لكي يسببا بأكبر ما يمكن من التوتر والمشاعر البشرية، وهذا هو السبب الذي جعلهم يرسلونك إلى مدرسة داخلية وذلك لكي يعمق لديك الشعور بالعجز، والذي اضر بك اكثر من أي شيء آخر.»

فصاح يعنف نفسه: «ولكنني تركت ذلك النذل ينتصر، يا ليزا، لقد كنا انا وجينا ملتصقين ببعضنا البعض حتى ذلك الحين، لقد كان بيننا رباط ما كنا نسمح لهم بقطعه، ولكنني تركتهم يفعلون ذلك فقد ظننت أنها قد تخلت عني، ولكنني كنت انا الذي فعلت ذلك بها، لقد أدرت ظهري إلى شقيقتي الصغيرة و...»

صاحت ليزا به بحرارة: «ولكن هذا لم يكن ذنبك، يا كين، وانت لم تدر ظهرك لجينا، فقد كانت تساعدك طوال هذه السنوات...»

فهز رأسه قائلاً: «كل ما فعلته هو ان حاولت ان اخرجها من هذه الحمأة التي وضعت نفسها فيها، لم اعطها ما كانت بحاجة إليه مني، يا ليزا، لم استطع..» وبدا في صوته اليأس وهو يصرح بأسوأ ما في الأمر. «لم اعد اشعر بذلك.»

لقد كانوا قتلوا فيه كل شعور ما عدا الكراهية، كما اخذت ليزا تفكر، كانت الكراهية هي ما كان يقتات بها طوال تلك السنوات. ثم الحاجة المحرقة إلى تنفيذ العدالة بهم، كما كان حبه الهامد لها هو الذي كانت تقتات به جينا إلى ان ادركت انه لم يعد موجوداً لأجلها، وكانت عند ذلك في طريقها إلى تحطيم نفسها لولا ان انقذها تريفور بحبه.

فهمت ليزا ثقل ذلك الشعور بالذنب الذي يحمله كين في نفسه، فحاولت ان تخفف منه: «لقد سلمت جينا الآن، وكذلك سلمت انت. ولم يفت الوقت بعد لكي تغير ما حدث، يا كين، ليس عليك ان تبقى مقاطعاً لشقيقتك، إذ يمكننا ان ندخل جينا في اسرتنا، هذا إذا رأيت أنت. انها تحب ذلك...»

«ليزا..» ونظر اليها رافضاً بشكل يائس، ثم ما لبث ان توقف وهو يمعن النظر في عينيها وكأنه يتساءل عما إذا كان هذا ممكناً... اذا كان معقولاً. «انني اعرف شعورك بالنسبة إلى الأسرة، يا ليزا، ولكن جينا ليست شقيقة لي في الحقيقة، وبالتالي ليس مفروضاً عليك ان تستقبليها...»

«بل هي شقيقتك، يا كين. وذلك الرباط مازال موجوداً بالرغم من كل ما حدث، لأنكما ترعرعتما سوياً، وبالنسبة إليّ لا مشكلة هناك بيني وبينها، صدقني انني وجدتها شخصاً غاية في الحلاوة.»

فعبس وكأنه لم يستطع حمل نفسه تماماً على تصديق

ذلك، ثم ابتسم ساخراً: «جينا أيضاً تراك شخصاً في غاية الحلاوة وقد احبتك كثيراً.»

قالت ليزا مازحة: «هذا لأنك تزوجتني، ان جينا تظن ان أي امرأة يتزوجها شقيقها، تظنها جميلة، وإلا لما تزوجها، وإياك ان تنتقد هذا المنطق، لأنه يعجبني.»

خف توتره قليلاً، وبان الدفء في نظراته اليها: «ليس حكم جينا على الآخرين سيئاً كله، وذاك في الواقع قد اخذ يبدو افضل من حكمي أنا، فأنا دوماً كنت أرى تريفور شخصاً سخيفاً مضحكاً، ولكنه ليس كذلك في الحقيقة.»

«لقد رأيته بالغ الرقة واللطف، وهو مناسب جداً لشقيقتك.»

أومأ قائلاً: «انه هكذا دوماً، كنت اظن...» وعبس، «كنت مخطئاً فهو لا بأس به.» وكان هذا ابلغ مديح يمكن ان يمنحه كين لرجل آخر.

ازداد عبوس كين وهو يقول: «معك حق، يا ليزا، فقد كانت جينا سعيدة لأننا سنرزق بطفل، ذلك انها لا يمكن ان ترزق باطفال، لقد كانت اصيبت بعدوى تركتها عاقر.»

آلمها هذا الخبر في الصميم، وامتدت يدها بحركة لا شعورية إلى بطنها تحمي جنينها، ما افظع ألا تستطيع امرأة ان تنجب، وخصوصاً امرأة مثل جينا لديها طاقة كبرى للحب والعطاء...

ثم قالت بهدوء: «لا تدعهم يؤثرون عليك اكثر من ذلك، يا كين، فانهم لا يستحقون ان تتنكرهم لا يستحقون ثانية أخرى من حياتك تنفقها على التفكير بهم.»

ثم نهضت عن الأريكة الجلدية وتقدمت إلى حيث كان

واقفاً، ورفعت بصرها إليه، ونظرت بنعومة المخمل، ثم قالت: «عندما طلبت مني ان اتزوجك، قلت لي ان حياتنا ستكون كما نصنعها نحن، فلنصنعها إذن كأحسن ما يمكن. وكذلك نصنعها لجينا ايضاً قدر امكاننا. يمكننا ان نشركها في طفلنا، يا كين، يمكننا ان نحاول على الأقل أليس كذلك؟»

كسا ملامحه الإعجاب والتقدير: «زواجي منك كان عملاً صائباً، يا ليزا، فأنت كل ما أريد وكل ماانا بحاجة إليه، وكونك بجانبي... يعني كل شيء بالنسبة إليّ.»

كانت ليزا تعلم انها لا تعني كل شيء بالنسبة إلى كين، كما انها لا تزوده بكل ما يريد وما يحتاج إليه، ولكن ربما كان شعور كين الآن هو أقرب ما يكون إلى الحب، وخفق قلبها سعادة، ولم تشأ ان تفكر اكثر من ذلك، فقالت له: «دعنا الآن نذهب إلى النوم.»

الفصل الحادي عشر

كانت ليزا قد ظنت، ذات يوم ان كين لا يمكن ان يتغير أبداً، فكان الزواج منه أخطر مغامرة قامت بها في حياتها، ولكنها أثناء الأشهر الأخيرة من الحمل، اخذت تدرك وتقدر ان ما قادها إليه قلبها وفطنتها، بدلاً من عقلها، لم يكن خطأ قط. فقد كان كين ماريوت رجلاً عاقلاً طيب القلب. وفي الواقع كان جوهرة. كذلك ولكن انعزاله عن الناس كان مجرد حماية للنفس من ان يصل إليه احد بعد الآن.

ربما كان ما دفعه إلى الزواج منها هو حاجته إلى أحد يشاركه عزلته تلك، فكان في اصرارها على عدم مقاطعة أسرتها هو أول بذرة تغيير في نفسه. ومقابلته لوالديها أرته ما ستكون عليه حياتهما إذا هو حاول جاهدا، وحقيقة حمل ليزا قد غرس بذرة تغيير ثانية، ما جعله يعيد ترتيب نظام الأولويات في نفسه. فحياة طفله أهم لديه من أي شيء آخر. وأخيراً كان في اكتشافه تضحية جينا لأجله، تغيير آخر في نفسه.

اصبح مقلاً في إصدار احكامه على الآخرين، واكثر استعداداً للأخذ بوجهة نظر سواه، وذلك إلى درجة كبيرة، وكذلك تقدير الصفات الحسنة في الآخرين، بدلاً من الوقوف بمعزل عنهم، كما اخذت الحواجز التي كان وضعها حول نفسه تنهار تدريجياً، ابتدأت صلاته بالآخرين تتحسن، ليس مع ليزا فقط وإنما من أولئك القريبين منهما.

اصبحت علاقته بأسرتها طيبة، خصوصاً بشقيقها الأقرب طوني، والذي غالباً ما يأتي إلى زيارتهما عندما يعود من رحلته في الطائرة عبر البحار. كما ان جينا وتريفور أصبحا زائرين مرغوباً بهما، يشاركانهما مناسبات غداء ايام الآحاد.

تملكت أسرة ليزا السعادة عندما علمت بمجيء الطفل، ولكن الحمل بالنسبة إليهم كان شيئاً طبيعياً يحدث عادة في الزواج، وكلما اقترب موعد الولادة، إزداد انتباه ليزا إلى انه بالنسبة إلى كين وجينا، كان حدثاً خطيراً، رأت ليزا انه يعني لهما الكثير، وكأن كل ما هو جميل في الحياة كان ممثلاً في الطفل الذي سيولد.

كان التفكير في الطفل يولد احياناً، الدفء في نفسها، واحياناً الإضطراب، لقد اخذ يقل شعورها بأنها انسان وليس مجرد عربة تنقل طفل كين، وخصوصاً اثناء الشهرين الاخيرين للحمل عندما ابتدأ كين يرعاها برفق زائد وكأنها إناء هش من البلور، ومع ذلك، لم تستطع منع نفسها من الشعور بأنها انحدرت إلى المكان الثاني لديه.

ربما كان شعورها بأنها اصبحت ثقيلة متعبة وغير جميلة، ما احدث لديها حالة من الاكتئاب، كانت تريد من كين ان يخبرها بأنه (يحبها)، وانها (هي) التي احدثت في حياته كل ذلك التغيير، وليس الطفل الذي كانت على وشك ان تمنحه إياه. مضت اوقات كانت تشعر فيها بالغيرة من الطفل، وفي احيان كثيرة كان من الصعب عليها جداً ألا تصرخ في وجه كين إزاء حرصه البالغ بالنسبة لما تعمل وسبب ما تعمله.

تمنت لو ينتهي حملها هذا، ولكنها كانت تخاف من ازدياد غيرتها عندما يصبح بوسع كين ان يحمل طفله بين ذراعيه، منفصلاً عنها، وبقدر ما كان يحتاجها هي ويريدها بجانبه، إلا انها كانت تشعر بأنها لن تظفر ابداً بذلك الرباط نحو كين والذي سيربطه، بطبيعة الحال بابنه.

سيكون كين موجوداً لأجل ابنه، وذلك منذ البداية، بينما لم يحدث منه ذلك بالنسبة إلى ليزا، فقد كان جزء كبير من حياتها مخالفاً لحياة كين، فبيئتهما لم تكن واحدة على الاطلاق، لقد كان ثمة جسر فوق الهوة من عدم التفاهم التي تفصل بينهما، ولكن مع ابنه لن تكون هناك هوة على الاطلاق، ذلك ان كين لن يسمح لذلك بأن يحدث.

حدثت ليزا نفسها بأن عليها ان تكون مسرورة لأنه سيكون والداً جيداً، وكانت فعلاً مسرورة، ولكنها فقط كانت تتمنى ان كونها زوجته، يعني شيئاً اكثر بالنسبة اليه.

في الأسبوع الذي كان سيأتي فيه الطفل، كان ثمة بعض المشاكل في مشروع وينجيكامبل وكان كين في ملبورن، وشعرت ليزا بالضعف والإكتئاب، كان كين قد اصر عليها بأنها إذا رأت أياً من علامات الولادة، فعليها ان تتصل به على الفور، وكان هذا هو سبب الاكتئاب، فقد كانت تعرف مسبقاً ما ستكون عليه النتيجة، ذلك ان عمله هو اكثر أهمية لديه من إمساكه بيدها، فإذا هو جاء فلأجل ابنه فقط، وليس لأنها بحاجة إلى وجوده بجانبها.

تكهنت بأن حياتها ستبقى نفس الشيء، كين سيكون غالباً، بعيداً في مكان ما، يبني المشاريع التي قليل من الناس يقدرون على إنجازها، وهو سيكون رقيقاً ليناً

معها، وسيظهر كل حبه لابنه ولمن قد يجيء بعده من الأبناء.

كان يتصل بها صباحاً مساءً ليعرف ان كان حدث شيء، ولم يكن لها ان تشكو من عدم اهتمامه بها، رغم انها كانت تعلم ان اهتمامه ذاك انما هو بالطفل.

زارتها جينا، وكذلك والدتها، واتصل بها كل من تعرفه ليطمئن عليها، وتمنت من كل قلبها ان يأتي الطفل لكي تخلص من كل هذا.

كان قد مضى على غياب كين أربعة ايام عندما ظهرت أولى بوادر الولادة، فاتصلت بطبيبها الذي نصحها بالذهاب إلى المستشفى على الفور. ورغم ان ليزا لم تشعر بأي من آلام المخاض، إلا انه اخبرها بأن ذلك سيبدأ حالاً، أدارت رقم هاتف كين لكي تخبره، معدة نفسها لخيبة الأمل إذا وجدت انه مشغول في مكان آخر.

حدثت نفسها بأنه مفروض فيها ان تكون قوية، بحيث تتمكن من معالجة أمرها دون سند من مشاعر زوجها، فالنساء تنجب على مدار الأزمان دون ان يكون رجالهن بجانبهن. وكون وجود الرجل بجانب زوجته اثناء الولادة هو نظام حديث في المجتمع، وهو غير ضروري. وبجانب هذا فقد رأى كين ما يكفي من الآلام، على كل حال، ومن الأفضل ان يشاركها البهجة بعد ذلك، وهذا هو الشيء المعقول.

عدا عن هذا، فقد كانت ليزا تعي تماماً مبلغ الأهمية في ان تسير شركة كين الهندسية في مشروع وينجيكامبل بقدر ما يمكن من السهولة واليسر، ومعنى ذلك ان مستقبلهما رهن الأحداث، لم يكن يهمها ذلك بالنسبة إلى نفسها، ولكنها

كانت تريد افضل فرص الحياة بالنسبة إلى اولادها، مثلها في ذلك مثل كين.

اجابت على اتصالها امرأة، وعندما طلبت ليزا ان تتحدث إلى كين، اخبروها انه في اجتماع هام، ولن يكون موجوداً قبل وقت طويل، فإذا احبت ان تترك خبراً...

سحبت ليزا نفساً عميقاً تغالب به دموعاً سخيفة على وشك الانهمار، ثم قالت: «اخبريه ان زوجته اتصلت و...»

فهتفت المرأة على الفور: «زوجته؟ آه، يا سيدة ماريوت، هل هو الطفل؟ أعني.. آه، كم انا آسفة... لأننا كلنا نعرف ان السيد ماريوت ينتظر هاتفاً منك على أحر من الجمر... آه، سأصِلك به على الفور، فانتظري على الخط.»

لم تكن دهشة ليزا قد تلاشت بعد، وهي تعلم ان جميع الموظفين عنده يعلمون بهذا الوضع الشخصي الخاص، عندما جاءها صوته عبر الخط، متوتراً مستعجلاً: «ليزا؟ ماذا حدث؟ هل انت بخير؟»

«نعم، أنا بخير تماماً، يا كين.»

وما كادت تخوض في الحديث عما حدث، حتى انفجر يقول: «سألحق بك إلى المستشفى في أسرع وقت ممكن. سأترك المكتب الآن يا ليزا.»

لم تصدق أذنيها: «ولكن ماذا عن الاجتماع يا كين؟ ستمضي ساعات وساعات قبل أن...»

قال بحزن: «انني قادم الآن، يا ليزا، ان كل شيء آخر يمكنه ان ينتظر.»

تحيرت ليزا وهي ترى ان وجوده معها أثناء ولادة الطفل هو في قمة اولوياته، ويبدو ان كل من عنده قد اخذ علماً

بذلك، ما عداها هي، ربما كانت معرفتها بذلك هو أمر مسلم به عنده. وهزت رأسها مفكرة، وهي تضع السماعة، حتى ولو كان الأمر هو مجرد رغبة منه في ان يرى طفله عند ولادته، إلا انها شعرت لذلك بسعادة بالغة.

وعندما وصل كين إلى المستشفى بعد ثلاث ساعات، شعرت وكأنها مخادعة، ذلك ان المخاض عندها كان من الضعف بحيث نصحتها الممرضة بأن تسير في طرقات المستشفى ذهاباً وإياباً لكي تيسر من حدوث الولادة. وهناك وجدها كين.

وصل كالإعصار لشدة التوتر واللهفة، وعيناه تلمعان خوفاً وإثارة: «ماذا تفعلين هنا خارج القسم؟» وكان على استعداد لانتقاد أي شخص وأي شيء لكي يجعل الأشياء كما يجب بالنسبة إليها.

قالت مازحة: «اظن لا بد ان طفلنا هو كسول، فهو لا يجتهد للخروج، وانا احاول بالسير هنا، ان أشجعه على ذلك، بذلك نصحتني الممرضة.»

بدا الارتياح على وجه كين، وقال باسماً: «حسناً، ان رأيه صائب، على الأقل، إذ ينتظر قدوم والده، هل انت غير مرتاحة، يا ليزا؟»

فقالت تطمئنه، شاعرة بالسعادة لاهتمامه بها: «كلا، مطلقاً.»

وكذلك لم يكن هناك أي علامة للولادة اثناء الساعتين التاليتين، ابتدأت تشعر بأنه لن يحدث شيء، ولكن كين كان رائعاً معها، فكان يحضر اليها الشاي، باقياً بجانبها. وأخيراً قرر طبيبها ان يشجع المخاض لديها، إذ بعد

وضعها على السرير اعطيت محاليل في الدم تحتوي على عقار منشط الذي كان مفروضاً فيه ان يقوي الألم، وهذا ما حدث.

اثناء الساعات الأربع التالية، جربت ليزا كل الوسائل التي تعلمتها في معهد تدريب الحوامل قبل الولادة، لقد ساعدتها تمرينات التنفس على تخفيف الآلام، اما كين فكان توتره يزداد مع مرور الوقت، وكان على ليزا ان تداوم على طمأنته بأن كل شيء على مايرام.

جاء الطبيب يعاود فحصها، ولكن النتيجة لم تبد له واضحة مازاد في انزعاج كين.

مر المزيد من الساعات، ساعات من الخيبة والإرهاق وازدياد الفزع، وتدريبات المعهد لم تؤهل ليزا لأي شيء غير طبيعي في الولادة، وكان واضحاً ان ثمة شيئاً لا يسير كما يجب.

جاء اليها مزيد من الأطباء يشجعونها. وكانوا لا ينفكون يستمعون إلى خفقان قلب الوليد، ولكن جسدها لم يستطع ان يتجاوب مع كل ما كانت تستجيب إلى فعله من نصائح، وكان كين يبذل جهده في تهدئتها والتخفيف من مخاوفها، ولكن تمالكه هو لنفسه تشتت برداً عندما ابتدأ خفقان قلب الطفل يصبح غير منتظم.

طلب العمل حالاً، وحصل عليه، إذ سرعان ما امتلأت الغرفة بالأطباء يراجعون رأيهم في حالتها، وعلى الفور وصلوا إلى نتيجة هي ان الطفل لن يولد بشكل طبيعي، وان عملية قيصرية يجب ان تجري للأم، ومادام الطفل في محنة شديد، فالعملية يجب ان تجرى في اقرب وقت مستطاع.

كان على ليزا ان تخضع لتخدير عام، وكانت هي مستعدة للقبول بأي شيء يمكن ان ينقذ الطفل، فقد كان شحوب وجه كين الهائل ينبىء عن مقدار ما لهذا من أهمية لديه.

سار كين بجانبها وهم يأخذونها على الكرسي ذي العجلات إلى غرفة العمليات، ممسكاً بيدها بشدة وقد بدا العبوس عليه، كان في عينيه السوداوين توسل لعينيها لكي تطمئناه، دون ان تستطيع هي ذلك، كانت تشعر بالعجز، والفشل كامرأة، والفشل كزوجة له، فقد مرت الآن ست عشرة ساعة منذ دخلت المستشفى، وحياة طفلهما معرضة للخطر، وكان لدى ليزا شعور مخيف بأن منزلتها عند كين كانت هي أيضاً معرضة للخطر، فإذا ذهب الطفل... وإذا لم تستطع ان تنجب مزيداً من الأطفال... وإذا كانت هذه فرصتهما الوحيدة لحياة جديدة نظيفة كان يتصورها...

همست متوسلة بصوت أبح: «قل لي انك تحبني، يا كين.» كانت بحاجة ماسة إلى ما يطمئنها إلى انها مهمة بالنسبة إليه، بصرف النظر عما إذا كانا لن ينجبا اطفالاً.

«ليزا...» بدا عليه الذهول وهو يحدق اليها غير مصدق بأنها تفكر في مثل هذه الأمور اثناء حالتها هذه.

ثم فات الوقت لكي يجيبها على ذلك. فقد طلبوا منه ان يقف جانباً، بينما ادخلت ليزا إلى غرفة العمليات، وكانت هي تفكر بيأس بأن ليس من المفروض ان تفشل العملية. أخذ طبيب البنج يثرثر معها عن آخر فيلم رآه. أي موضوع سخيف يتحدث عنه هذا؟ وما أهمية الافلام الآن، بينما

الحياة الحقيقية التي تريدها كانت في خطر... الحياتان معاً، حياة طفلها وحياتها مع كين.

ابن كين...

حياته وحياة جينا الجديدة النظيفة... هذا ليس عدلاً... ليس عدلاً على الاطلاق... أليس هناك بعض العودة إلى الحب؟ ثم إذا بالوعي يغيب، ولم تعد ليزا تشعر بشيء.

• • •

ظلام، ظلام في كل مكان، فهي لا تشعر بشيء ولا ترى شيئاً.

إنني على قيد الحياة.

الطفل... ماذا عن الطفل؟ يبدو أنها تناضل منذ مدة طويلة، طويلة. لم تكن تشعر بأي ألم. وببطء وتكاسل، فتحت عينيها للضوء.. وإذا بوجه كين يحوم فوق وجهها.

سألته والخوف يتملكها ويصعقها: «الطفل؟»

«الحمد لله انك بخير.» استرخت أساريره المتوترة وهو ينظر في عينيها باسماً.

أخذت ليزا تغالب مخاوفها البالغة، ما الذي حدث لطفلها؟ حاولت ان تسأل، ولكن لم يخرج من فمها صوت، لم تستطع ان تتكلم، لم تستطع ان تتنفس، ورفعت يدها تتحسس عنقها، لا شيء، رأت رأس كين يندفع إلى الخلف بعنف، وقد التوت ملامحه بقلق مخيف وهو يرى الصدمة تتملكها، فتجاهد في سبيل التنفس، وهي تسمع جرس الإنذار وصوت كين ينادي: «احضروا الطبيب.»

لم تستطع ان تتنفس... انها لا تستطيع.. لا نفس هناك.

قال شخص ما: «تشنج في المريء.»

وضعت ممرضة لها قناعاً على وجهها، فأخذت ليزا تقاوم دون ان تفهم شيئاً، تطلب بيأس، الحرية في ان تتنفس، والقناع لا يسمح لها بذلك، واخذت تفكر، الآن سأموت.

اترى كين حصل على ابنه؟

كانت تريد ان تعلم، تريد ان تعرف ما إذا كانت خيّبت أمله.. ولكنه لم تكن هناك طريقة تعرف بها ذلك، واغرورقت عيناها بالدموع، انها لا تعرف.

ومن مسافة بعيدة سمعت بشكل مبهم، صوتاً صارخاً: «أنقذوا زوجتي.»

وشعرت بوخزة في ذراعها، كما ادخل عنوة شيء مريع في فمها، وساورها إحساس غريب بأنها تسبح في الهواء، سرعان ما محاه الظلام، والعدم.

• • •

«ما زلت على قيد الحياة.»

اخذت ليزا تفكر في ذلك بدهشة، لا بد انني مثل القطة بتسعة ارواح، ذهبت منها اثنتان، ومازال هناك سبعة.

وفتحت عينيها للنور مرة أخرى، كانت في غرفة أخرى الآن هي غرفة العناية الفائقة. وكين يراقبها بمشاعر تحترق، وعيناه فحمتان سوداوان متألقتان لا تطرفان، مركزتان عليها فقط. وشعرت بيديه تمسكان بيديها برقة ورفق. حاولت ان تبتسم له، ولكنها لم تفلح، فقد كان فمها جافاً تماماً.

كان كين يبدو أشعث منهكاً، وربطة عنقه محلولة وكذلك أزرار قميصه، وكأنه أصيب بصدمة، وكانت عيناه بركتين من الدم، ونقنه يكسوه ظل أسود كثيف، وكان مائلاً إلى الأمام يحوم حولها.

كان يتمتم بصوت أبح: «ليزا... ليزا... ستكونين بخير... آه، يا ليزا...»

كان غشاء من الدمع يزيد عينيه بريقاً، لماذا لا يخبرها عن الطفل؟ كان يبدو عليه التشتت، لا بد ان لديه خبراً سيئاً، لا يريد ان يطلعها عليه، لقد خيبت أمله فيها.

همست واليأس يملأ قلبها: «أنا آسفة.»

«آه، ليزا...» وبدا وكأن ما قالته قد ملأه عذاباً. توترت يداه حول يديها: «لشد ما انا بحاجة اليك، يا ليزا، احبك، لن اتوقف قط عن قولي لك انني احبك... احبك احبك.»

كان كين يهذي، يحاول تمالك نفسه، وتذكرت ليزا انها كانت سألته ان يخبرها بأنه يحبها وذلك قبل دخولها غرفة العمليات مباشرة، ولكن هذه الكلمة لم تطمئنها الآن، لا تدري لماذا، ذلك ان السؤال المهم لم تسمع له جواباً: «طفلي...»

«عليك ألا تقلقي، ألا تتوتري، كوني هادئة فقط، كل شيء على ما يرام.» وكان يقول لها هذا، لاهثاً.

«اخبرني عن... طفلي.»

ان معرفة الأسوأ كان افضل من عدم المعرفة على الاطلاق، ألم يفهم بعد؟

وأخيراً أدرك كين ان عليها ان تريح نفسها بالنسبة لهذا الأمر الحيوي، فقال: «انني واثق من ان الوغد الصغير بأتم

خير، فلا تقلقي، يا ليزا، لا تقلقي لأي شيء.» تملكهاالإرتياح مزيجاً بالأمل، إلى عدم الثقة، وهي تستوعب جواب كين.

سألته: «ما الذي تعنيه من (انك واثق من انه بخير) ألا تعلم؟»

«حسناً، لقد وضعوه للتو في الانعاش للاطمئنان عليه، ولهذا تكهنت بأنه بخير. لم استطع ان اتركك.»

«كين.»

ساوره الفزع لصرختها هذه: «عليك ان تبقي هادئة يا ليزا.»

سحبت نفسين عميقين، ثم اخذت تتكلم بما امكنها من الهدوء، ولكن عينيها البنفسجيتين كانتا تتألقان بالحزم: «كين ماريوت، اذهب واستعلم على الفور عما حدث لطفلي.»

فقال بقلق: «ليزا...»

«على الفور.»

«سأستدعي ممرضة للجلوس معك.»

«على الفور.»

«يجب ألا تبقي وحدك.»

«انني مستاءة جداً يا كين.»

«ساذهب على الفور.»

واسرع بالذهاب، ولكن ممرضة جاءت للجلوس بجانبها وعلى فمها ابتسامة متسامحة وكأنها تقوم بشيء لا ضرورة له على الاطلاق.

قالت ليزا بصوت متهدج: «انني بخير.»

فأجابت الممرضة: «نعم، يا عزيزتي.» بينما كانت تعطيها قطعة ثلج لتمصها. «ولكن عندما تكون في عيني زوجك تلك النظرة السوداء المجرمة، لا يكون من الحكمة ان يقال له (كلا).» التوت ابتسامتها قليلاً وهي تتابع قائلة: «اظنه لو كان فقدك، لانتهى العالم بالنسبة لكثيرين آخرين أيضاً، فهو... لم يتعود على ان يخبره احد بما عليه ان يفعل، أليس كذلك؟»

كانت الممرضة على صواب، فعندما يقرر كين شيئاً، فقد انتهى الأمر، ما زال في نفس كين الكثير من الأسود والأبيض، رغم انه قد صار اكثر رقة وليناً، ولا شك ان ممرضات المستشفى لم يرين فيه كثيراً من الرقة، «هل افسد كين اشياء هنا، وخالف بعض انظمة المستشفى؟»

أجابت الممرضة متنهدة باستسلام: «كلا، فهو لا يثق بأي أحد للعناية بك، ولا أدري كيف جعلته يتركك، ذلك ان احداً لم يستطع ذلك.»

قالت ليزا وقد أدركت في النهاية ان هذا صحيح: «انه يحبني.» نعم، ان كين يحبها، ولكنه غير ماهر في التعبير عن حبه هذا، خاصة بالكلام، ولكن تصرفاته تحكي ما يملأ مجلدات عن حبه لها، وحاجته اليها، انها اكثر أهمية عنده من ابنهما.

قالت الممرضة لاوية شفتيها: «انك لست مخطئة في هذا الأمر، انه في الواقع لم يترك لأحد مجالاً للشك في هذا.»

واذا بكين يعود واسع الخطوات، وبدا لليزا انه لم يكد يغيب خمس دقائق، وعلى الفور اخذت عيناه تعيدان تقييم حالتها، ليتأكد من ان لا شيء حدث في غيابه، وبسرعة

نهضت الممرضة من مكانها، لكي يعود كين فيحتله مرة أخرى بجانب ليزا.

«آه، انه بخير.»

هذا جواب آخر لا يشفي الغليل، فحملقت به باستياء، بعد كل ما عانته، تريد ان تعرف عن ابنها أكثر من هذا. هذا إلى انه من غير الممكن ان يكون كين قد أجرى فحصاً كافياً عن ابنهما في خمس دقائق فقط.

سألته: «اهذا كل ما عندك لتقوله؟»

فقال بسرعة يخفف عنها: «انه بخير تماماً، صدقيني انه بخير.»

ابتدأت ليزا تشك في انه لم يذهب لرؤية الطفل على الاطلاق، وانه يدعي ذلك فقط، أو ربما سأل ممرضة عنه.

فقالت له: «صفه لي.»

«حسناً، ان له شعراً كثيراً شديد السواد.» وهذا أيضاً غير كافٍ، حيث ان شعرهما أسود، هما الاثنين.

فأصرت على إعادة السؤال: «وبعد؟»

«وجلده احمر نوعاً ما.»

«انك لست ماهراً في الوصف، يا كين.»

قال بشيء من العنف: «ورأسه غريب الشكل.»

«آه...»

قال بسرعة يفسر لها الأمر: «لا تقلقي ياليزا، فقد اخبروني انه سيعود إلى طبيعته بظرف ايام قليلة. فهذا من تأثير الضغط... حيث انه بقي مدة طويلة في وضع الولادة قبل ان يرفعوه.»

وكان هذا معقولاً، فرؤوس الاطفال لينة. فبان الارتياح على ليزا، وعادت تسأله: «وماذا بعد؟»

فهز كتفيه: «من الصعب رؤية التفاصيل، فهو في الحاضنة حيث حوالي عشرين شريطاً متصلاً به.»

فتحركت هواجسها: «هل هو في خطر؟»

«كلا يا ليزا، لا خطر هناك، وانما هو تحت الرقابة فقط، كل اطفال العمليات القيصرية يوضعون في الحاضنات، لأن سرعة الولادة تسبب هبوطاً في حرارة الجسم، ما يجعلها بحاجة إلى بعض الوقت لكي تعتدل.»

«كم عليه ان يبقى هناك؟»

فقطب جبينه قائلاً: «عدة ساعات.»

«ألم يولد منذ اكثر من عدة ساعات؟»

«حسناً، انهم لا يحتاجون إلى مكانه لأجل طفل آخر، ويكفي انهم نجحوا في إعادة نبضات قلبه إلى حالتها الطبيعية، ولكن ليس ثمة ضرر من مداومة المراقبة.»

تصورت ليزا فجأة جمعاً من الأطباء والممرضات قد احتشدوا جميعاً حول ابن كين ماريوت خوفاً من تلك النظرة الاجرامية في عينيه إذا كفوا عن المراقبة، فقد كان كين ماريوت رجلاً ذا شخصية محسوسة اذا اقتضى الأمر. ولكنه على كل حال، لا يمكن ان يكون في مكانين في وقت واحد. فبينما قام بكل ما بوسعه لأجل ابنه، فقد اختار البقاء بقربها ليراقبها بنفسه.

قالت وفيض كبير من الحب له يغمر قلبها: «هل هناك شيء آخر.»

«ان لديه الآن شيئاً واحداً من كل ما ينبغي ان يكون لديه شيء واحد منه، واثنين من كل ما ينبغي ان يكون لديه اثنان منه، وخمسة من كل شيء آخر.»

لم يكن لدى ليزا أي شك في مقدرة كين على الحساب فقالت وابتسامة تلوح على شفتيها: «انك ميئوس منك، يا كين ماريوت.»

قال بجد: «انا فعلاً كذلك، من دونك. ثم إياك ان تجعليني اخاف من الحياة مرة أخرى، يا ليزا. فقد جعلتني انظر مباشرة إلى هوة مظلمة لا يمكنني مواجهتها.»

قالت برقة: «انا آسفة.» فقد كانت تعرف كل شيء عن تلك الهوة المظلمة، من دون كين...

اضاف هو باقتناع تام: «هذا لأنني احبك.»

فقالت: «نعم.»

ان تصديقها له الآن لا يشوبه ظلال الشكوك، ذلك ان تصديقها له لأنها ترى الحب في عينيه، في صوته.

همست وعقلها وقلبها تشملهما سعادة متماثلة: «وأنا احبك أيضاً يا كين.»

• • •

كان وصف كين لطفله خاطئاً بأكمله، فهو لم يكن وغداً صغيراً على الاطلاق، وإنما كان طفلاً ممتلئاً منتفخ الوجنتين ذا عينين قاتمتي الزرقة اما رأسه فلم يكن غريب الشكل على الاطلاق، وكان مغطى بشعر جعد اسود رائع الجمال.

عندما اقتنع كين بأن الخطر زال عن ليزا كلياً، اخذ تحفظه نحو ابنه يزول تدريجياً، وابتدأ في اتخاذ دور الأب الفخور، وبعد عدة ايام اصبح الوغد الصغير يستحق ان يعتبره الشخص ابناً له، مادام لا يتدخل في صحة ليزا،

والذي جعل ليزا تدرك، من وراء صراعها ضد الموت، كم تعني بالنسبة إلى كين، لقد اصبحت الحياة فجاة بالغة الحلاوة، وخصوصاً الآن بعد ان ايقنت من ان كين يحبها.

زارتها أسرتها في المستشفى وقدمت التهاني بالمولود الجديد. ولكن الزيارة الأكثر أهمية بالنسبة إلى ليزا، كانت من جينا. فقد شعرت ليزا بالمحبة التي تدفقت من جينا تغمرها، ثم وهي تحتضن الطفل الذي لن تحصل عليه طوال حياتها، كانت الطريقة التي ضمته فيها إلى صدرها، بالغة الرقة والحنان وكأن الطفل كان منبعاً لكل فرح وعجب وجمال، ثم قالت لليزا وهي تتنهد بسعادة: «انه كامل الجمال، يا ليزا.»

أشرق وجهها الجميل الرقيق بابتسامة مضيئة: «اظنني اتحسن، يا ليزا، فأنا لم أعد أخاف من الناس والزحام مثل قبل، وأنا أعدك بأن أكون عمة جيدة.»

قال كين محبذاً: «بل الأفضل.» ونظر إلى شقيقته بعطف بالغ.

فتملك ليزا الارتياح البالغ والشكران وهي ترى كل شيء على أحسن حال. وإذ اخذت تنظر اليهم، هم الثلاثة، كين وجينا والطفل، شعرت بآلام الماضي قد تلاشت بالنسبة للجميع.

وبعد عدة أيام بدا المستقبل أكثر اشراقاً بعد ان اخذت تسأل كين عن مشروع وينجيكامبل. «أليس عليك ان تعود إلى ملبورن.»

«كلا، فلديّ جاك كونواي يهتم بكل شيء.»

قال ذلك وهو يعبث باصابع طفله بابتهاج، وهزت هي

رأسها غير مصدقة: «لديك مديراً لشركة الدولية المختلطة. يؤدي العمل لأجلك؟»

فأومأ يجيبها: «انه رجل جيد، ويحسن الإدارة داخلاً وخارجاً، وهو لا يقوم بالتسويات حين لا ينبغي ذلك له.»

نظر إليها وعيناه تتألقان بالرضى: «لقد اريتني ان عليّ ان امنح الآخرين مزيداً من الفرص، يا ليزا. وقد قرر قبولها الأسبوع الماضي، وذلك قبل ان يعترض مجيء طفلنا كل شيء، بيوم واحد.»

«اصبح شريكاً لك؟» ولم تستطع ان تتصور جاك كونواي خارجاً في ساحة العمل، فهو بالنسبة إليها، مكانه خلف مكتب المدير، المنفذ العالي المقام.

واجاب كين: «بكل تأكيد. فقد ابتدأ يتعب في الشركة الدولية المختلطة.» وهذا عمل يحمل تحدياً جديداً بالنسبة إليه. ومشاركة حقيقية في الأرباح، وبجانب ذلك لم يعد هناك مجازفات الآن.» نظر اليها بابتسامة كبيرة. «فهذا يمنحني وقتاً اكثر اقضيه معك ومع هذا الوغد الصغير.»

انهم أسرة الآن. وامتلأ قلب ليزا بالرضى والامتنان العميقين. فقد طمأنها الطبيب إلى ان ليس ثمة سبباً يمنعها من انجاب مزيد من الأطفال. انما ذلك سيكون بعملية قيصرية على الدوام. ولكن المشكلة التي حدثت لها هذه المرة لن تتكرر. ذلك انها كانت احدى القلائل من سيئات الحظ اللاتي لديهن حساسية قوية نحو العقار الذي استعملوه لها، والآن بعد ان عرفت حالتها وسجلت، فكل شيء في المستقبل سيحسب حسابه.

انها طبعاً لن تتحدث إلى كين في ذلك إلا بعد وقت طويل،

فهو مازال في دوامة الخوف التي تملكته على حياتها، ولكن الزمن يشفي معظم الجراح، خصوصاً مع الحب الكثير.

عاد كين يقول: «نسيت ان اخبرك. لقد كنت في اجتماع مع جاك عندما اتصلت بي، فقال لي ان ابلغك اطيب تمنياته.»

هزت رأسها متأملة، ما اغرب الكيفية التي تجر بها الأمور، أموراً أخرى.

نظر كين في عينيها وهو يقول برقة زائدة: «ان حياتنا ستكون سعيدة على الدوام، يا ليزا.»

فقالت بثقة وقد غمرتها السعادة: «نعم.»

«ذات يوم كنت عازماً على ألا احتاج أي شخص في حياتي، وعندما عرفتك يا ليزا، رغبت فيك ولكنني بقيت احدث نفسي بأنني لا احتاجك، إلى ان حانت تلك العطلة الأسبوعية التي اتصلت فيها بي قائلة بأن علاقتنا قد انتهت، وإذا بي فجأة، لا استطيع ان احتمل فكرة انني لن أراك مرة أخرى في حياتي ابداً.» تنفس بعمق ثم قال ساخراً من نفسه: «انني لم اعالج ذلك الموقف بشكل جيد، أليس كذلك؟»

فقالت مازحة: «انك فعلت ذلك بطريقتك العدوانية المعتادة، وبقيت انا احدث نفسي بأنني كنت مجنونة إذ اصبر على ذلك، ولكنني مسرورة لأنني فعلت، يا كين، كل ما كنا بحاجة إليه هو وقت للتسوية.»

فهز رأسه: «ليس انت يا ليزا، بل انا، فقد غيرتني إلى الأفضل اما جينا، فليس في وسعي قط ان اماثلك في ما قمت به، وما منحتنيه، ولكنني سأبذل جهدي في منحك كل ما اقدر عليه، وعلى الدوام.»

لقد كان يحاول وكانت هي تعرف ذلك، ومنذ وقت طويل. لقد تغير الآن كل شيء، فهي في المقام الأول بالنسبة اليه، والأسرة في المقام الثاني، لما العمل فهو في المقام الأخير، لقد تعلم كين ان اهم من كل شيء هو ان يحبها كما تحبه.

همست تقول: «احببني دائماً، يا كين.» لقد كان ذلك، بالنسبة إلى ليزا، جواباً لكل شيء.

www.elromancia.com
مرومانسية

تمت